

الفصل الرابع

نماذج من موضوعات الدراسة في علم الاجتماع

تناولنا بالدراسة في مستهل الفصل السابق أبرز النظم الاجتماعية التي توجد في المجتمع باعتبار أن دراسة النظم مبحث أساسي في علم الاجتماع ، بل انه يمكن القول انه علم دراسة النظم الاجتماعية لأنها تشمل على كافة نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والأخلاقية ... الخ .

وقد رأينا أن نخصص هذا الفصل لمناقشة بعض موضوعات الدراسة في هذا العلم بعد أن تعرفنا على ماهيته ومقوماته الأساسية وأبرز اتجاهات الفكر السوسيولوجي عبر التاريخ ومن شأن هذه الدراسة ان تثري معرفتنا بالعلم ، وتزيد من المعرفة السوسيولوجية عند دارس علم الاجتماع .

وسوف نركز في هذا المقام على دراسة بعض الموضوعات الأساسية التي حازت اهتمام العلماء والباحثين وكان لهم فيها بحوث ودراسات على درجة كبيرة من الأهمية ومن بين هذه الموضوعات ما يلي :

- ١ - دراسة مفهوم الجماعة في علم الاجتماع .
 - ٢ - العلاقات الاجتماعية .
 - ٣ - التغيير الاجتماعي .
 - ٤ - التنظيم الاجتماعي .
 - ٥ - الثقافة .
 - ٦ - الضبط الاجتماعي .
 - ٧ - التدرج والحراك الاجتماعي .
- وجدير بالذكر أن هذه الموضوعات مترابطة في الفهم السوسيولوجي

برغم دراستنا لها كل على حدة . اذ الملاحظ أنها متداخلة ومتفاعلة بعضها مع بعض وأن سمة التكامل من أبرز خصائصها .

أولا - الجماعة :

لدراسة مفهوم الجماعة اهتمام خاص في علم الاجتماع فهي وحدة الدراسة في هذا العلم ، على العكس من علم النفس مثلا الذي يعتبر الفرد هو محور الدراسة فيه ، فضلا عن عدم امكان الفرد بذاته ان يكون مجتمعا ، بل لابد له من الانضمام الى الجماعة حتى يمكن تلبية كافة الميول والرغبات واشباع هواياته كإنسان .

تعريف الجماعة من خلال الفكر السوسيولوجي :

يهيئنا عند وضع تعريف علمي لمفهوم الجماعة أن نستعرض مجموعة آراء علماء الاجتماع في هذا الشأن التي تمثل خلفية علمية لتعريف الجماعة :

يرى اوبنهايمر Oppenheimer ان الجماعة تضم مجموعة من الافراد كبر حجمها أم صغر ، وسواء كانت هذه الجماعة لها تنظيم محدد وأهداف واضحة أم كانت غير ذلك .

ويعرف جيغر Geiger الجماعة بأنها عدد من الافراد تتحد مشاعرهم حتى يصل الجميع الى فهم مشترك ومتكامل لمفردى كلمة « نحن » ومع ذلك فان وضع تعريف للجماعة ما زال غامضا كما يرى ذلك جيغر . وعلى أى حال فانه يمكن تعريف الجماعة من خلال تفسيرنا لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأعضاء ، بمعنى ان ما ينشأ بين مجموعة من الافراد من علاقات يعتبر شرطا أساسيا في تسمية هذه المجموعة الفردية بـ« جماعة » .

ويؤكد هذا الفهم العلامة ماكيفر Meiver الذي يعنى بمفهوم الجماعة، كل تجمع - ينشأ خلال الحياة الاجتماعية للأفراد ، ويشترط أن يربط بين أعضاء الجماعة نوع من العلاقات الاجتماعية باعتبارها السمة الدينامية لتفاعل أعضائها .

ان الجماعة ربما تفهم على أنها عدد من الافراد لهم اهتمامات مشتركة،

ويميل بعضهم الى البعض الآخر . كما أنهم يسهمون معا في أنشطة عامة
وكمثال للجماعة : الأسرة والجماعة القومية .

ويؤكد كوني Cooley على أهمية الجماعات الانسانية صغيرة الحجم ،
مثل الأسرة وجماعة اللعب أو جماعة الجيرة ، وقد وضع لها اسما هو الجماعة
الأولية كما قال بالجماعة الثانوية وادخل تحتها كافة التجمعات مثل الدولة
والحزب والطبقة ...

ويميل علم الاجتماع المعاصر الى الاهتمام بالجماعات الصغيرة
لدراستها وبيان مدى تعاون أعضائها ، ودخولهم في تفاعل مستمر مع البيئات
الاجتماعية المتباينة ويرى بوجاردس أنه ربما يعرف علم الاجتماع بأنه علم
دراسة الجماعات الاجتماعية في وظائفها وعملياتها الاجتماعية .

ونجد هومانز Homan يعرف الجماعة بالحديث عن الفعل الفردي
في اطار الجماعة ومشار الفرد تجاه الآخرين ، ومدى تفاعلهم في اطار النسق
الداخلي أو الخارجي حيث تتكون فيه العلاقات بين الأفراد بل بين الجماعات
بعضها مع بعض (١) .

مما تقدم تبجو أهمية دراسة الجماعة في الفهم السوسيلوجي فهي
محور أي نشاط اجتماعي أو تفاعل بين الأعضاء . وتجدر الإشارة الى أن
التعريفات السابقة برغم تباينها في وضع تعريف محدد لكنها مكتملة لبعضها
البعض بمعنى أنها في مجموعها تشير الى أبرز خصائص الجماعة :

فهي لاختلف في أن أي جماعة تتكون من مجموعة من الأفراد الذين
يشكلون محتوى الجماعة أو الهيكل البشري لها بحيث أن الفرد بذاته لايمكن
أن يسمى جماعة الا باشتراكه مع الآخرين في تكوين هذه الجماعة .
هذا الجمع العددي من الأفراد لا يمكن بحال أن يطلق عليه جماعة الا اذا
كان منظما في اطار معين وله أهداف واحدة على عكس ما يرى أو بنهيمر الذي
لا يشترط هذا العنصر .

وبطبيعة الحال فان الجماعة المنظمة بهذه الصورة لاتتم الا اذا ربط بين

أعضائها علاقات إجتماعية واضحة يتفاعل خلالها الأفراد بحيث يكرن ثمرة هذه العلاقات نشأة الفهم المشترك بين الأعضاء والثبات على تحقيق أهداف محددة وواضحة يؤمن بها أعضاء الجماعة .

تلك هي أبرز خصائص الجماعة في الفهم السوسيولوجي ويمكن ان نخلص الى تعريف محدد لها باعتبارها مجموعة من الأفراد يربط بينهم نوع من العلاقات الاجتماعية فينشأ فهم مشترك بين الأعضاء وتتوحد مشاعرهم ويعمل الجميع على تحقيق أهداف واضحة .

الجماعة الأولية والجماعة الثانوية :

سبق القول أن العلامة كولى قد أوضح أن هناك جماعة أولية وأخرى ثانوية ، وعن الشكل الأول فإنه يضع خصائص أساسية تنتم بها تلك الجماعة إذ يسودها علاقات الوجه للوجه ويتم التعاون بين أعضائها . وتسود بينهم الروح الجمعية التي تعطى انطبعا ودودا مع الغير ، وتبدو تلك الروح الجمعية فيما يمكن أن نطلق عليه كلمة « نحن » حيث يعيش الفرد في شعور الجميع ، ويتمثل أهداف الجماعة في شعوره وجدانه ، وليس ضروريا أن يسود الجماعة الأولية نوع من الانسجام النسبي أو التود على طول الخط ، ولكن قد نلاحظ ظهور نوع من التنافر بين أعضائها ، وانفعالات نصبح ذات طبيعة اجتماعية حين يتقاسمها فرد أو أكثر . وكمؤسسات للجماعة الأولية الأسرة ، وجماعة اللعب وجماعة الجيرة ، والمجتمع المحلي (١) .

ان أبسط ما توصف به الجماعة الأولية في تفسير كولى أنها بسيطة التركيب المورفولوجي غير معقدة في بنائها الوظيفي ، وبالتالي فإن ما يبدو في هذه الجماعة من مظاهر الوهن الاجتماعي وما ينشأ من مشكلات لا يقارن بحال بما يسود الجماعة الثانوية من تعقيدات .

ونعل تلك السمات التي وضعها كولى كخصائص للجماعة الأولية تنطبق على ما أسماه ترنيز Tonnies بالمجتمع المحلي . ففي دراسة له عن

(١) Lewis A. Coser : Sociological Theory, Second Edition, Collier Macmillan, New York 1967 p. 66.

المجتمع المحلى والمجتمع الكبير يرى ان العلاقات التى تسود المجتمع الأول - المحلى - تقوم على أساس اتصال فرد وآخر ، انها فعل متبادل كان تقول ان فردا ما نشيط وكثير بينما الآخر انسان كسول ومجهول ، وليس من شك فى ان تلك الافعال تعبر عن ارادة الانسان فى الحياة وتعطى فى معناها درجة من الايجاب او السلب .

وتقوم نظرية المجتمع المحلى - باعتباره جماعة - على افتراض درجة من التكامل بين الارادات الفردية الانسانية كحقيقة اجتماعية حيث يسود درجة ما من الاعتماد المتبادل بين الأفراد ، وتنمو العلاقات الناشئة عن ارادة الجماعة فى نواح معينة ، اذ قد تنشأ العلاقة بين الام ووليدها او قد تنشأ بين الزوج وزوجته ، كما قد تنشأ أيضا علاقات بين الأطفال وأخواتهم .

وتنشأ وظيفة السلطة فى المجتمع المحلى - الجماعة - انطلاقا من وظيفة الأب ، ومن عوامل تكوين علاقات قوية داخل المجتمع المحلى توفر علاقات الدم بسبب القرابة والجرار ، وتبدو هذه العلاقات فى أوضح صورها فى علاقات الجيرة خاصة فى القرى ، ويمكن القول ان هناك توائمين تحكم سلوك المجتمع المحلى ، فالاتصال الزواجى بين الزوجين عن طريق علاقات الود - وحسن التكيف وتبادل الخدمات حيث يفكر الاثنان بأسلوب متشابه ومن هنا ينشأ الفهم المشترك ونتيجة للشعور بالحب يمكن ان ينظم الأفراد فى حياتهم داخل الجماعة ، كذلك فان اللغة المشتركة تلعب دورا ما فى سلوكيات الاعضاء داخل الجماعة فنظهر مشاعر متبادلة وتنمو فى المجتمع المحلى ما يمكن تسميته بسيادة روح العائلة .

وإذا كنا نركز على توضيح خصائص الجماعة الأولية فانها تمثل وحدة الدراسة فى علم الاجتماع كما سبق القول - كما تناولها بالتحليل العلمى عديد من العلماء أمثال كولى فى دراسته عن الجماعة الأولية ، كذلك تحدث ردفيلد Redfeild عن المتصل الرينى - الحضرى ، وبيكر Becker عن المجتمعات المقدسة والمجتمعات العلمانية ، كما تحدث سوروكين Sorokin

عن العلاقات العائلية والعلاقات التعاقدية ، وتناول ماكس فيبر Weber دراسة أنماط توجيه الفعل الاجتماعي (١) .

معنى ذلك أن تونيز يعتبر المجتمع المحلي Community شكل من أشكال الجماعة الأولية Primary Group بديل أن ما ذكره من خصائص هذا المجتمع تتطابق الى حد بعيد مع ما ذكره كولى عن سمات الجماعة الأولية ، ويفصل القول هنا اشتراك كل من المجتمع المحلي والجماعة الأولية في حقيقة اجتماعية هي بساطة التركيب المورفولوجى مع بساطة في الدور الوظيفى للفرد والجماعة .

ويتفق ماكيفر ، بيج مع كولى حول تحديد سمات معينة للجماعة الأولية ، اذ يرى الاثنان أن تلك الجماعة ان هي الا تنظيم اجتماعى يتكون من عدد من الأفراد يتقابلون وجها لوجه لتحقيق أهداف معينة مثل تقديم مساعدة متبادلة ، او نقاش حول بعض الموضوعات او مناقشة السياسة العامة وغير ذلك ، ان تلك الجماعة هي بؤرة كافة التنظيمات ، انها وحدة البناء الاجتماعى وتبدو في شكل أسرة أو جماعة أصدقاء ، وقد تتعد الجماعة الأولية بحسب نشاطاتها ومن سماتها ظهور علاقات اجتماعية مع الغير تتسم بالطابع الشخصى ، وتبدو فيها مشاعر الحب والكره والتعاون ، ويمكن القول ان هذه العلاقات الأولية تبدو في خصائص المجتمعات الأولية (البدائية) أيضا فانها اوضح ما تكون في القرية ، وفي الجماعة يمكن تقسيم الأفراد بحسب وظائفهم من خلال ما يقومون به من أدوار ولذلك لا ندعش اذا حدث تغير في بناء وظيفية تلك الجماعة الأولية (٢) .

فكان ماكيفر ينفق مع سابقيه حول خصائص الجماعة الأولية وان كان قد اضاف عنصر الدينامية في أدوار الأفراد فيها ومن ثم يمكن حدوث التغير في بنائها ووظيفتها ، أى ان هذه الجماعة يمكن اذا تعقدت العلاقات داخلها

(١) Ferdinand Tonnies : Community and society Trans by Charles P. Loomis ; The Michigan state Univ. Press, U.S.A. 1964 p. 33.

(٢) R. M Maciver and cheries H. Page : Society an Introductory analysis. Macmillan Co. London, 1953 p. 218.

وتوسع نطاقها المورفولوجى بفعل عوامل كثيرة فى هذه الحالة يمكن ان تصبح جماعة ثانوية .

وعلى العكس من السمات السابقة التى ذكرناها عن الجماعة الأولية تدر صورة الجماعة الثانوية حيث تتميز باتساع تركيبها المورفولوجى وتمايز أدوار الأفراد فيها وتعقد العلاقات داخلها ، وربما كان يقصد تمييز هذه الخصائص ما يتسم به المجتمع الكبير ، ونجد العلامة دوركايم يميز بين شكلين من أشكال التضامن ، هناك التضامن الآلى حيث تفوب شخصية الفرد فى شخصية الجماعة عما حدث قديما وما زال سائدا فى المجتمعات المنزولة ، وهناك الشكل الثانى من أشكال التضامن وهو التضامن العضوى ويسود المجتمعات الراقية المعقدة فى تركيبها حيث يشعر الفرد بكامل حريته فى تنظيم أمور نفسه وعلاقاته مع الآخرين (١) .

وبطبيعة الحال فان ما يعنى به دوركايم من تضامن آلى انما يسود الجماعة الأولية وذلك بالتطبيق على ما ذكرناه من سمات هذه الجماعة على عكس التضامن العضوى حيث يمكن أن يسود الجماعة الثانوية التى تتحرر فيها ارادة الانسان من سيطرة وسائل الضبط الاجتماعى بشكل آلى على سلوكه .

غير أنه يمكن القول أن الفصل بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية انما هو فصل نظرى لمجرد الدراسة إذ أن هناك فى الواقع الاجتماعى تداخلا بينهما ، فالريف كجماعة أولية له اتصال بالحضر كجماعة ثانوية وفقا للمعايير والسمات السابقة . وكلا الاثنى - الجماعة الأولية والجماعة الثانوية - يمثلان اطارا عاما للمجتمع الكبير .

ومن هنا نخلص الى أهمية دراسة الجماعة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية فى تركيب المجتمع . فضلا عن أن الانسان حيوان اجتماعى وأن تفاعله الاجتماعى لا يتم الا من خلال ارتباطه بجماعة مستقرة ، انه يولد حاملا موروثات فيزيقية ، لكنه يصبح كائنا اجتماعيا له شخصيته المميزة عن طريق التفاعل مع غيره من الأفراد والجماعات ، وعن طريق عملية

(١) د . مصطفى الخشاب : المدارس الاجتماعية المعاصرة دار المعارف

بمصر ١٩٧٥ ، ص ١٨٩ .

للتفاعل هذه تبرز كينونة الفرد كإنسان متميزاً عن الحيوان ذلك أنه لا يمكن أن يتم التفاعل إلا بين إنسان وآخر ، وبينهما وسيلة اتصال ويعملان معاً لتحقيق غرض محدد أو وظيفة وهدف ، فالميل إلى العمل هو أحد الخصائص الهامة في الكائنات الانسانية وان كانت بعض الحيوانات تشارك الإنسان هذه السمة حيث قد يميل إلى غيرها في تبعية غير رائدة بالطبع ولكن الإنسان يستطيع أن يتميز عليها في أنه يستطيع أن يحدث تطورياً مستمراً في جماعته أى يؤثر فيها ، ولا يمكن بحال القول بأن ميل الإنسان إلى الوجود إنما يحدث بالتبعية كالحيوان وإنما يتم ذلك عن طريق السلوك الاجتماعى والفعل الرشيد الذى يبدو في اظهر معالينة عن طريق الخبرة الواسعة للجماعة عبر العصور . ويرى لينتون Linton ان الميل إلى تكوين جماعات يتم حين يعتمد الطفل على الغير ويحدد سلوكه وفقاً لعلاقات داخلية يكونها الطفل مع أفراد أسرته خلال فترة طفولته ، ويرى سيمل Simmel أن اتصالات الاجتماعية بين أفراد الأسرة إنما تتم عن طريق اندماج الطفل مع جماعته وبالتالي تنشأ بينه وبينها علاقات (١) .

كذا تصبح دراسة الجماعة احد المباحث الجوهرية في علم الاجتماع ، لهذا رأينا أن نبدأ بها موضوعات الدراسة في هذا الفصل ، لننتقل بعدها إلى دراسة مفهوم العلاقات الاجتماعية التى تسود الجماعة .

ثانياً - العلاقات الاجتماعية :

نتناول دراسة العلاقات الاجتماعية التى تسود الجماعات الانسانية من خلال استعراضنا للعناصر التالية :

- ١ - أهمية دراسة العلاقات الاجتماعية .
 - ٢ - الاتجاه السوسولوجى في فهم العلاقات الاجتماعية .
 - ٣ - دينامية العلاقات الاجتماعية من خلال محتوى الدور الاجتماعى .
 - ٤ - أشكال العلاقات الاجتماعية كما تبو في المجتمع .
- وسوف نقوم بتفصيل تلك العناصر فيما يلى وبحسب الترتيب السابق .

Merrill : Society and Culture, Prentice-Hal, Inc. 4th (١)
Edition, 1956 p. 46.

أما من حيث أهمية دراسة العلاقات ، يتساءل أولسن Olsen عن سبب اهتمام الأفراد بضرورة خلق علاقات اجتماعية ؟ ويرى أن الإجابة على هذا التساؤل ترجع الى الدوافع المختلفة التي تشجع هؤلاء الأفراد لخلق علاقات اجتماعية فيما بينهم ، ويحصر تلك الدوافع فيما يلي :

أولا - الجزء الذاتى : اذ يطور الأفراد والجماعات علاقاتهم لانها تتسبب في اشباع رضاهم النفسى مع الآخرين حيث يلتصقون المتعة في صحة الغير الامر الذى يدفعهم الى البحث عن الصداقة والحب والارتباط بأى انسان آخر .

ثانيا - الاهتمامات العامة : وبصرف النظر عن كافة الوان الرعاية الاجتماعية الناشئة من توفر علاقات سوية او حتى مجرد اهتمام الغير بالفرد ، فإن وجود علاقات اجتماعية تخلق مناخا من الاهتمامات المشتركة بين الجماعات وتجعلهم يتواجدون معا وتمدهم بالاساس الاجتماعى لاستمرار علاقاتهم ، فضلا عن ذلك تخلق عندهم هدفا متفقا عليه يتعاون الجميع من أجل تحقيقه ، وغالبا ما تؤدي العلاقات الاجتماعية الى وضع نموذج واضح لتفاعل اجتماعى معبر ذو هدف واضح .

ثالثا - التوقع والاضطرار : حيث يشعر الفاعلون الاجتماعيون بالتوقعات والاضطرارات تجاه بعضهم البعض ، وتحتوى هذه التوقعات على صورة من صور العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين الذين يتقاسموا فيما بينهم الاهتمامات المشتركة ، وربما تبني العلاقات الاجتماعية على ضرورة توفير تعاليد لها جذور ضاربة في القدم مثل تلك العلاقات التى سادت بين اللوردات والفلاحين في العهد الاقطاعى في أوروبا مثلا ، كما تكوّن هناك أيضا علاقات وقتية مثلما يحدث بين الطبيب ومريضه ، فالعلاقات هنا مرتبطة بالعلاج من أجل الشفاء ، وقد يكون من عوامل نشأة العلاقات التشابه في الأخلاق والديانة تكون العلاقات مقررة بحكم القانون .

رابعا - الاعتماد المتبادل : تقوم الحياة الاجتماعية على الاعتماد المتبادل بين الأفراد داخل البيئة الاجتماعية المعقدة خاصة في الأنشطة والمعتقدات ، فالدين يطالب الفرد أن يحب لجاره مثلما يحب لنفسه ، كما قد الاقتصادية ، حيث أن سلسلة من العلاقات الاجتماعية ، غالبا ما ينشأ بين منتجي المواد الأولية وبين الصناع والمصدرين والمستهلكين كذلك فإن الترامج التنموية والتنمية ، مثل مشروعات الاسكان والخدمات الصحية ومياه الشرب وغيرها كلها مشروعات تعتمد أيضا على صورة الاعتماد المتبادل في المجتمعات الحاضرة ، وقد لا يتجسد هذه الصورة في المجتمعات البدائية حيث الحياة بسيطة وتعتمد على الاكتفاء الذاتي ، وظاهرة الاكتفاء الذاتي لا يمكن بحال أن تكون صورة المجتمع الحديث ذلك أن الانسان المتحضر لا يمكنه أن يعيش بمفرده فكم منا محتاج الى طعام ومئس ومسكن وكافة ضرورات الحياة خاصة في البيئات الطبيعية القاسية وبحون شك فان الاعتماد المتبادل هو اذن الأساس الاضطراري لنشأة العلاقات الاجتماعية من اجل خلق تنظيم اجتماعي في المجتمع الحديث .

خامسا - القوة : اذ غالبا ما تحتاج العلاقات الاجتماعية تلى عنصر القوة كعملية اجتماعية ضابطة لسلوك الأفراد والجماعات من اجل سيادة علاقات سوية .

ونجد الإشارة الى أن أحد هذه العوامل لغسرة لنشأة العلاقات الاجتماعية ربما يكون متميزا في التحليل السوسيولوجي عن باقي العوامل ومرد ذلك الموقف الاجتماعي السائد (1) .

وليس من شك في أن هذه الأسس المختلفة لنشأة العلاقات الاجتماعية في المجتمع تمثل بالضرورة أهمية توافر تلك العلاقات ، اذ لا يتصور قيام علاقات اجتماعية والفرد في معزل عن الغير ذلك لأنه يحيى حياة اجتماعية يحتاج الى الآخرين الذين هم بالتالي في حاجة الى جهوده ونشاطاته ، ولا يمكن بالطبع تلبية كافة احتياجات الأفراد والجماعات في المجتمع وهم

Marvin E. Olsen : The Process of social organization ; (1)
Holt, New York, 1968 p. 33.

فرادى أولا تربطهم صلوات معينة ، ومن هنا كانت أهمية خلق علاقات اجتماعية بين الجميع وقد تنشأ علاقات خاصة مع أفراد بالذات أو جماعات نظرا لتبادل المصالح والخدمات ، وقد تنشأ علاقات اجتماعية عامة ، يرى الجميع ضرورة وجودها من أجل بناء المجتمع واستمراره وتقدمه .

- ٢ -

أما بشأن الاتجاه السوسيوولوجى فى فهم العلاقات الاجتماعية - فتجدد الإشارة الى أن - علاقات الأفراد مع مجتمعاتهم قد أثارت اهتمام المفكرين والعلماء منذ فترة طويلة من الزمان لدرجة أنهم تساءلوا فيما بينهم أيهما أسبق فى الوجود الفرد أم المجتمع وما هى الفلسفة أو الغاية من الحياة الاجتماعية هل هى تحقيق السعادة الفردية أم الاجتماعية ؟ .

وكان لهذه التساؤلات اجابات شتى ومتباينة فى دراسة العلاقات الاجتماعية ويمكن أن نجمل هذه الاجابات فى اتجاهات أربعة : الاتجاه الفردى فى تفسير العلاقات الاجتماعية . الاتجاه الاجتماعى الواقعى . الاتجاه التفاضلى . الاتجاه التكاملى وسوف نقول كلمة عن كل اتجاه من هذه الاتجاهات .

اد يعتقد اصحاب الاتجاه الفردى أن المجتمع ليس له وجود . أنه من وحي الخيال ذلك لأن الفرد أسبق فى الوجود منه ، ومن هنا فان دراسة العلاقات الاجتماعية إنما تجيء من دراستنا لحياة الفرد لأنه محور الحياة الاجتماعية والباعث لها ، فضلا عن أن ما يبدو فى المجتمع من توافر مشكلات مختلفة إنما مردها الى الأفراد ذلك لأن المشكلة الاجتماعية هى مجموع مشكلات جمع من الأفراد . ومن هنا يمكن القول بان غاية الحياة الاجتماعية فى اطار هذا الاتجاه الفردى هى سعادة الفرد الا أنهم تباينوا فى كيفية تحقيق هذه الغاية فينصح فريق منهم الفرد بان يتخلى عن أنانيته حتى يمكن له تحقيق مصالحه الذاتية بأية وسيلة كانت . وان كان هناك فريق معتدل يرى أن سعادة الفرد والجماعة لا تتعارضان ، ومن ثم فان تحقيق السعادة لأحدهما هو فى ذات الوقت تحقيق لسعادة المجموع ، وبالتالي نتحقق الغاية من الحياة الاجتماعية . ومن هنا نستطيع أن نلمس روح التطوير

للأراء المتطرفة لأصحاب الاتجاه الفردي حتى تواكب التطورات الاجتماعية الحديثة .

ويقلل الاتجاه الاجتماعي الواقعي من شأن الدور الذي يقوم به الفرد . لأن فلسفة هذا الاتجاه ترمى الى تفريغ الفردية في اطار العقل الجمعي أو الارادة الكلية وفي نظر أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع أسبق في الوجود من الفرد ، كذلك فان ما يسود من عادات وتقاليد تعبر عن روح الاجتماع أفضل بكثير من نزعات الفرد النفسية ذلك أن هذه الميول والاتجاهات الفردية انما تنبثق من الطبيعة الاجتماعية التلقائية التي تستند الى قوة التزام العقل الجمعي ممثلة في وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية منها أو الاجتماعية ، من هنا كانت غاية الحياة الاجتماعية تأكيد سلطة المجتمع على أفرادها . ويذهب الى أكثر من هذا السلامة سرركايم حين يتصور أن أول ديانة ظهرت هي عبادة الفرد لمجتمعه ، وأن السلامة الدينية هي سلطة اجتماعية انبثقت من قلب الجماعة . وجدير بالذكر أن المجتمع لكي يحتفظ بكيانه وسلطانه يلزم أن يغرس في نفوس الأفراد ضرورة الارتباط الدائم به وتعلقه بوحده . ويذهب أنصار هذا الاتجاه أيضا الى ضرورة تأليف الفئات الفردية حتى نعيش حياة اجتماعية ويسود التفكير الجمعي فكر الأفراد .

ويرى ليفي بربيل من أنصار الاتجاه الواقعي - أن الفرد مجرد آلة تعكس آراء مجتمعه وطريقة التفكير ، كذلك أوضح تأثير التخضر أو التخلف في أسلوب تفكير الفرد .

- وهناك ثالثا الاتجاه التفاعلي الذي لا يعبر المناقشات الدائرة حول علاقة الفرد بالمجتمع وأيهما أسبق في الوجود ، لا يعيرها اهتماما ، وكل ما يهم هذا الاتجاه ظهور علاقات اجتماعية متبادلة بين الجميع وتعتبر جوهر الحياة الاجتماعية ودعامتها ، ولهذا يطالب هذا الاتجاه بأن يقتصر علم الاجتماع على دراسة العلاقات الانسانية التي تنشئها الجماعات البشرية . ولهذا الاتجاه مذاهب شتى منها ما درست العلاقات الاجتماعية بتتبع اجتماعية الكائنات الحية في المستويات الأدنى من البشرية . ويطلق على هذا المذهب . المدرسة البيولوجية الاجتماعية ، كما حاول أنصار الدراسات الأثنوبولوجية تفسير العلاقات الاجتماعية في ضوء الاعتبارات العنصرية أو السلالية ، وهناك مذهب

دراسة العلاقات مجردة وعرف بمدرسة العلاقات ومن أشهر زعمائه جورج
سيمل ، كما فادت المدرسة الأمريكية الاجتماعية بتفاعل العلاقات بين الفرد
والمجتمع ، ويعطى كولى أهمية العنصر الروحي فى العلاقات الاجتماعية فهو
يعتبر التجانب الروحي أساسا للصلات الاجتماعية .

وهكذا يبجو التباين واضحا فى كافة آراء الاتجاهات الثلاثة الدراسة
لطبيعة العلاقات الاجتماعية فمنها ما يعبر عن الجانب السيكلوجى ومنها
ما يعبر عن الجانب التفاعلى أو الانثروبولوجى وغير ذلك . لكن نظرنا لفهم
العلاقات الاجتماعية يجدر أن تكون نظرة تكاملية فى الدراسات الاجتماعية .
ولهذا ظهر الاتجاه التكاملى فى دراسة هذه العلاقات من منظور أعم وأشمل
ويعانج طبيعة العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين الأفراد الذين تربط بينهم
الأهداف المشتركة والنشاط المنظم حيث تنشأ العلاقات فيما بينهم نشأة
نقائية لتقابل هذه الأهداف وتحدد مواقف وأدوار الأفراد وفقا لطبيعة الموقف
الذى يتأثر بطبيعة الحال بالتركيب المورفولوجى للجماعة أو المجتمع معنى
ذلك أن العلاقات الاجتماعية تتسم بالدينامية والتطور سواء من حيث
انتشارها فى الأجهزة والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية أو انتقال تلك
العلاقات من الشكل البسيط الى الشكل المركب حسب شدة وتعقد البناء
الاجتماعى .

ويمثل العلامة الأمريكى ماكيفر هذا الاتجاه التكاملى اذ يربط بين ظهور
العلاقات الاجتماعية والبيئة الاجتماعية التى نشأت فيها وأشكال الجماعات
على اختلاف أنماطها ووظائفها . والمجتمع فى نظر ماكيفر هيكل لما يسفر
عنه تنظيم العلاقات البشرية من صور مجردة ويمثل أنواع من التجمعات :
الجماعات وهى الوسط العام الذى تنشأ فيه العلاقات الاجتماعية محدودة
النطاق ، ثم الهيئات والتشكيلات وتتسم بتلقائية نشأتها لتغطية مصالح
الجماعة ومن أمثلة هذه التشكيلات الطبقات الاجتماعية . وكانت أنواع
التجمعات المؤسسات والمنظمات التى أنشئت لتحقيق أغراض محددة . وكلما
تكاثرت هذه المؤسسات كلما نما المجتمع وازداد تعقيدا .

العلاقات الاجتماعية وفقا لهذا التقسيم تبدو فى مظهرين : المظهر المادى
حيث يظهر الأفراد فى صورة جماعات فى قرى أو عشائر أو مدن ويغنى هذا

الشكل نظم تنعكس فيها أنماط العلاقات الاجتماعية . تلك النظم تظهر في شكل ظنوس وعادات وعقائد وآداب . أما المظهر الروحي وهو ما يطلق عليه ماكيفر بعاطفة الجماعة فان له أهمية خاصة فهو الذى يدفع الأفراد الى الاسهام المشترك ويغذى فيهم فكريات الجماعة وتقاليدها وعاداتها وكلما تقادمت مظاهر هذا الجانب الروحي كلما تقبل الأفراد أحكامه وكأنها صادرة عن نعمة ذاتية تعبر عن عاطفة الجماعة . وهي في نظر ماكيفر الشعور بالتبعيه والنطق بالجماعة والفناء فيها .

وفوق ذلك فانه يوجد في اطار الجماعة الشعور بالمرتبة او الدور اذى يلعبه الأفراد في العلاقات الاجتماعية . هذا الشعور لابد أن يندرب عليه الفرد منذ نعومة اظاهره عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى .

ومن انصار الاتجاه التكاملى في فرنسا العلامة جورفتش حيث يرى أن هناك علاقات اجتماعية تسود الفئات بسيطة التركيب وجعلها موضوعا لدراسة مستقلة أطلق عليها *Microsociologie* ويعنى بدراسة العلاقات المباشرة في نشأتها التلقائية عن طريق التفاعل أو اتخذت مظهر التيارات العامة واهم ما يميز هذه العلاقات روح الزمالة ويعتبر المركز الاجتماعى أبسط عناصر البناء الاجتماعى فالجماعات تتألف من شبكة من المراكز ويرتبط كل مركز بنمط معين من العلاقات .

أما النمط الثانى من العلاقات وهو الذى أطلق عليه جورفتش *Macrosociologie* فيعنى بدراسة مظاهر الروح الاجتماعية التى تقوم وفقا لقواعد منتظمة وعادات رسخت في المنظمات الاجتماعية التى تقوم بوظائف مرسومة ومحددة لها هدف واضح . ومن شأن هذه الدراسة تتبع تطور العلاقات الاجتماعية في مظاهرها الأولية الى مراحل تكوينها للنظم وهذا ينسر سر خضوع الأفراد للنظم طواعية دون قهر (١) .

تلك هى أبرز اتجاهات الفكر السوسيوولوجى المفسرة لطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في التجمعات الاجتماعية ابتداء من أبسط أشكالها تركيبها

(١) د . أحمد الخشاب : العلاقات الاجتماعية . الطبعة الأولى . الأنجلو المصرية ١٩٥٧ ، ص ١٢ ص ١٠٨ .

حتى أشد ما تعقيدا ، وواضح من هذا العرض حدوث تباين وجهات نظر علماء الاجتماع في تفسير أصول هذه العلاقات فمن نزعة فردية الى نزعة اجتماعية واتفية الى نزعة تفاعلية . معنى هذا ان كل جانب يحاول تصوير العلاقات الاجتماعية من منظور خاص يتطابق والاتجاه الفكرى الذى يعتقد فى أهميته ، ومن هنا كانت فعالية الشمولية التكاملية فى فهم طبيعة اصول العلاقات الاجتماعية ، تلك النظرة التى يمثلها كل من ماكيفر فى امريكا وجرفنتس فى فرنسا والتى تحاول أن تبسط تفسير العلاقات من خلال الواقع الاجتماعى والأشكال الاجتماعية التى تظهر فيه هذه العلاقات . ونضلا عن ذلك فانها لانهتم بمن هو أسبق فى الوجود الفرد أم المجتمع أو من هو صاحب المصلحة الاجتماعية الحقيقية الفرد أم المجتمع ؟ ويحاول هذا الاتجاه التكاملى - من نظرة تحليلية - أن يربط العلاقات الاجتماعية بالأشكال التى تبدو فيها ، ونضلا عن ذلك يحاول أن يفسر العلاقات فى إطار الموقف الاجتماعى العام مع ابراز كافة المؤثرات المجتمعية التى يثاثر بها هذا الموقف لأن من شأن ذلك النظر فى موضوعية تامة لكل جوانب المشكلة . وفى ذات الوقت يحاول تحليل أسس تكوين هذه العلاقات من ظهور أدوار اجتماعية للأفراد والجماعات أو مكائات اجتماعية تلعب دورا هاما فى صياغة شكل العلاقات القائمة .

- ٣ -

خلصنا من الفقرة السابقة الى أن الدور الذى يتميز به الفرد داخل الجماعة أو الميكانة الاجتماعية له يمثل اطارا مرجعيا لأصول العلاقات القائمة . ولهذا رأينا أن نناقش هذه القضية بشيء من التفصيل فى هذه الفترة فى إطار ما أسميناه : بدينامية العلاقات الاجتماعية من خلال محتوى الدور الاجتماعى ، وبمعنى آخر كيف يؤثر ظهور الدور الاجتماعى للفرد داخل الجماعة فى صياغة أنماط معينة من العلاقات الاجتماعية ؟ والى أى حد يعمل هذا الدور على تطوير هذه العلاقات أو على العكس يعمل على جمودها ؟

نلاجابة على هذا التساؤل فانه من الأهمية بمكان أن ننعرف على التفاصيل النظرى لمفهوم الدور وعلاقته بمفهوم الفعل الاجتماعى من خلال تراث الفكر السوسولوجى .

وبادئ ذي بدء يجب أن نقرر أن مفهوم الدور ليس من اختراع الأنثروبولوجيين أو الاجتماعيين فقد استخدمه باحثون آخرون في مجالات أخرى خاصة في مجال المسرح وعن طريق تفسير واضح لمفهوم الدور فإنه يمكن بالتالي تصنيف الناس إلى آباء أو قسس أو أطباء أو رجال أعمال ... الخ بحسب مكانة كل فرد ودوره ومسئوليته الاجتماعية . وما كان للأفراد أن يكون لهم دور واضح في المجتمع إلا عن طريق وجود لغة مشتركة يستخدمها الأنثروبولوجيون وكذلك الاجتماعيون في تحليل دور كل فرد في المجتمع ، وبطبيعة الحال يعرفنا هذا التحليل مدى التداخل بين الفرد والمجتمع في إطار إستراتيجي يوضح السلوك الفردي باعتباره أساسا سلوكا اجتماعيا عن طريقة تمييز خصائص الناس . وهذه حقيقة لا نحتاج إلى تأكيدها . وزيادة في الإيضاح فإن المجتمعات المعاصرة مجتمعات معقدة ، ولا يمكن لنا كاجتماعيين أن نتحدث عن أفراد في هذه المجتمعات ، وإنما نتحدث عن جماعات تستقر فيها أنماط من المعايير والقيم والقواعد وأنواع السلوك والنظم والأفعال التي تؤدي إلى توقعات معينة وأهداف ومسئوليات واضحة ، كل هذا التحليل إنما يدخل في إطار باب العلاقات . وبتفسير مفهوم الدور كان من الواجب علينا ألا نلجأ إلى التفسير الفردي . وإنما ننظر إلى الدور في إطار الأخلاقيات الكائنة بين جماعات من الناس حتى يمكن أن نعرف الدور من خلال السلوك الجماعي أو الطبقي وبالتالي يمكن أن نعطي تأثيرا تجاه ما يتوقعه الفاعل الفرد ازاء سلوك الغير (١) .

ويرى بيرجر Peter L. Berger أن نظرية الدور كان لها مدلول تطوري في الفهم الأمريكي ، ساهم في إرساء مقوماتها ولیم جيمس James وتشارلز كولي Cooley وميد G. M. Mead ويهتم بيرجر في هذا المقام بمفهوم الدور من خلال فهم توماس Thomas وعلاقته بالموقف ، إذ الموقف في فهم توماس إنما يتم بين فردين لهما اهتمامات مشتركة ، وبذلك يخلقون موقفا تظهر خلاله توقعات خاصة واستجابات . وهناك قول بان المجتمع

(١) S. . Nadel : the theory of social structure, the free press of glenceo, illioins first published 1957 p. 20.

لنما يوجد طالما وجد الأفراد ونشأت بينهم مواقف اجتماعية ، معنى ذلك أن الدور إنما يتم من خلال موقف معين .

وفي الفهم السوسيوولوجي فإن الدور يمكن تعلمه عن طريق عملية للتنشئة الاجتماعية ، وقد ينظر الى الدور من خلال منظور سيكولوجي باعتباره من أنماط شخصية القائم به ، وفوق ذلك فإن للدور مدلولاً في الفهم الأنثروبولوجي باعتبار أن الفرد يوجد في مجتمع وبالتالي يلزم أن يكون له أدوار اجتماعية (١) .

اذن فالدور الاجتماعي للفرد أو الجماعة يرتبط بتوفر موقف معين . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هناك مؤثرات تقائية أو قيمية تعد بمثابة موجبات للدور بحيث يتمكن الفرد من ترجمة دوره في إطار الجماعة التي يحيا فيها فيسلك سلوكا يتفق وقيم هذه الجماعة إذا أراد أن يكون له علاقات اجتماعية سوية وأن يشبع كافة ميوله واتجاهاته باعتباره عضوا في جماعة .

ويرتبط الدور بمفهوم الفعل الاجتماعي في إطار الأسس المفسرة لطبيعة العلاقات الاجتماعية في الجماعة ، نلاحظ أن ماكس فيبر Max Weber يرى أن الفعل الاجتماعي لا يتعلق بحاضر الجماعة فحسب وإنما قد يمتد الى ماضيها أو قد يتوفر في خصائصه عنصر التنبؤ بسلوك الآخرين مستقبلا وبطبيعة الحال فإن الفعل لا يعد اجتماعيا إذا ارتكز الى حالة التامل الفردي وإنما ينبغي لكي يكون هكذا أن يخضع لموجات الاجتماعية والقيمية والأخلاقية التي تسود المجتمع ، ويعد النشاط الاقتصادي على سبيل المثال فعلا اجتماعيا إذا أخذ في الحسبان توقعات الغير عن هدف هذه الأنشطة بمعنى أن ارادة الآخرين ربما توجه السلوك الاقتصادي مستقبلا باعتبار أنها تمثل أداة ضابطة لأعمال المنتج والمستهلك على حد سواء (٢) .

يشترك إذن كل من الدور والفعل الاجتماعي في خاصية خضوعهما

(١) Dennis H. Wrong & Hary L. gracey : Readings in introductory sociology, the Macmillan comp, London, 1969 p. 107.

(٢) Max Weber : The Theory of social and Economic organization, Trans, by Persons, the free Press of glencoe Collier-Macmillan, U.S.A. 1964 p. 122.

لمؤثرات أو موجّهات اجتماعية كالتقاليد أو القيم وغيرها وبذلك يكون الفعل اجتماعياً أو الدور هكذا ، وتجسّد الإشارة إلى أن هناك ترابطاً في الواقع الاجتماعي بين المفهومين ، فالفعل هو الترجمة العملية لمفهوم الدور باعتباره يمثل مجموعة المتطلبات الوظيفية بالمفهوم الشامل .

وانه من خلال تحليل ماكس فيبر للعلاقات الاجتماعية يبدو التفاعل بين هذه المفاهيم في واقع ملموس ، ذلك أن فيبر يحلّل تلك العلاقات من منطلق أنها تتم بين فردين مثلاً في موقف معين . يترقب أحدهما تصرفات وأفعال الطرف الآخر ويعمل لذلك حساباً بأسلوب واع ، فالعلاقات بهذا المعنى تشمل على عنصر الاحتمال والتوقع ، والتعريف بهذا المعنى يلزم أن يشتمل على التوجيه المتبادل لفرد مع آخر أو جماعة مع أخرى ، وقد يحتوي مفهوم العلاقات على عنصر التباين نتيجة للصراع الذي قد ينشأ نتيجة سوء التكيف مع الظروف التي تحكم أفعال الاثنين ، وفي الوقت ذاته ، فإن العلاقات الاجتماعية قد يتوفر فيها عنصر التجانب والصدقة ، ويعطى فيبر للعلاقات مجالاً تنمو فيه فيشير إلى أنها تبدو في كافة منظمات المجتمع مثل الأسرة والكنيسة ، كما تبدو العلاقات أيضاً في مجال الحزب حيث تتبادل الأحزاب عناصر التوجيه من خلال علاقات متبادلة ليست بالضرورة علاقات واضحة أو مباشرة ، وقد يبدو التوجيه في العلاقات معتمداً على سلوك وأفعال الأحزاب في إطار الكل الاجتماعي .

وهناك نقطة جديدة بالذكر في مفهوم فيبر وهي أن العلاقات الاجتماعية قد تختلف وتتغير بحسب المجال الذي تبدو فيه ، مثال ذلك أن العلاقات السياسية قد تتحول من علاقات مهادنة إلى علاقات صراعية إذا كان هناك موقف يدعو إلى ذلك كان يحاول حزب بعينه أن يكون له سلطة التوجيه بهدف فرض إرادته ضد إرادة الأحزاب الأخرى وقد لا يتصاعد الموقف إلى صراع وإنما يكتفى بموقف تنافس إذا أريد التوصل إلى درجة من ضبط الصراع . أن العلاقات الاجتماعية في نهاية الأمر هي الانساق من السلوك الإنساني بكل معانيه (١) وهكذا يحلّل فيبر العلاقات الاجتماعية الدينامية ويحاول بكل

Max Weber : Basic Concepts in sociology trans by (١)
H.P. secher, the citaaei press, New York, 1963 p. 63.

السبل أن يوضح كافة المؤثرات أو الجهات الاجتماعية التي تحافظ على عنصر
الدينامية في العلاقات .

خلاصة القول في هذا المجال أن تكوين علاقات اجتماعية دينامية لا يتم
في حالة ثبات الأفراد وانعزالهم بعضهم عن بعض ، ولكن لكي ننشأ علاقات
اجتماعية يلزم أن يكون للفرد الفاعل Actor داخل الجماعة دور محدد
وواضح تعكسه علميا أفعاله وسلوكه بحيث يؤدي إلى ترابط أعضاء الجماعة
إذا أحسن توجيه أدوار وأفعال الأجزاء فتنشأ حينئذ علاقات دينامية تتطور
إلى أفضل ، وعلى العكس قد تتطور تلك العلاقات إلى أسوأ بمقدار درجة
تفاعل الأعضاء بعضهم مع بعض في إطار موقف اجتماعي معين .

- ٤ -

تحدثنا في الفقرات السابقة عن الأسس الفلسفية لطبيعة العلاقات
الاجتماعية ونشأتها وتطورها ، بقي لنا أن نقول أن هذه العلاقات تبدو في
الواقع الاجتماعي في صورة عمليات اجتماعية مختلفة تمثل الإطار الفعلي
لفلسفة هذه العلاقات ، بمعنى آخر هناك عمليات اجتماعية تؤدي إلى علاقات
موجبة تعمل على استقرار وثبات البناء الاجتماعي ، كما أن هناك عمليات
اجتماعية أخرى تؤدي إلى خلق علاقات سلبية تعمل على أحداث نوع من الوهن
والفوضى الاجتماعية ، وسوف نشير إلى ذلك فيما يلي (١) .

أولا : التفاعل : التفاعل عملية أساسية في حياة الجماعة ، فالطفل يبدأ
تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في الأسرة بأسلوب سوى إذا كان هذا التفاعل
مع الغير يتم في إطار سليم ، كذلك لا يستطيع المراهق أن ينمو اجتماعيا إلا
من خلال مواقف اجتماعية تكفل حدوث تفاعل سوى داخل إطار جماعة
اجتماعية . وكما يتم التفاعل بين فرد وآخر ، فكذلك تتفاعل الجماعات مع
غيرها وإن كانت تتميز عن بعضها البعض . وتفيد عملية التفاعل هذه في
تنسيق الفكر والفعل وخلق حركة دينامية تساعد على تطوير حياة الجماعة

Emory S. Bogardus : Sociology, New York The (١)
Macmillan comp. 4th Edition 1954 pp. 522 - 533.

ولا يتم ذلك الا اذا قام التفاعل بين الافراد على أسس ثابتة من علاقات اجتماعية راسخة خاصة اذا كانت هناك علاقات جوار وصلة ، وحينئذ تتوسر فرص أقوى لتبادل التأثير بين الطرفين وتتم العلاقات بفعل التفاعل الخلاق بين الجميع .

ومن منظور اكلوجي نشاهد أن الحياة الحضرية تجبر الافراد على أن يكونوا في اهتمام شخصي ونادرا ما يعملون اهتماما لبعضهم البعض طالما افتتقوا الرابطة الوثيقة بينهم ومن ثم فان العلاقات الاجتماعية تربط بين الجماعات وتخلق بينهم مصالح متشابكة وفضلا عن ذلك فانها تنمي في الفرد والجماعة روح الاجتماعية والاتصال بالآخرين .

وقد تعكس البيئة الطبيعية اتجاهات الجماعة ، وكمثال فانه في حالة وجود ضغط سكاني فان الجماعة حينئذ تحاول أن تتخلص من هذه الأزمة بالتحول تجاه البيئة الطبيعية فتعمل على توسيع رقعة الأراضي المزروعة مثلا ، وبطبيعة الحال فان من شأن كافة هذه الاجراءات ظهور تكتلات سكانية لها أهداف واضحة في الاصلاح وعلاج المشكلات وتبرز المكانات الاجتماعية والأدوار ، وبذلك تظهر حالة من التفاعل المستمر خاصة وأنه يسود عاغا المعاصر وسائل التأثير السريع التي تتمكن من نقل الاتجاهات والامكار بحيث ينجم عنها تفاعل يؤدي الى نشأة حياة حضرية عامة .

ثانيا - الاتصال : والاتصال مفهوم قريب في معناه من عملية التفاعل نفسها ، بل انه ليس هناك معنى لمفهوم الاتصال الا بالتفاعل فالاتصال ان هو الاتفاعل من خاص . وقد يكون الاتصال عن طريق الرمزية حيث يتبع الغير فردا ما لأنه يمثل رمزا معيناً في حياة الجماعة . ان المعنى الشائع للاتصال يحوى عنصر التعاون بين الجماعات من أجل العمل بروح الفريق ، ومع ذلك فقد يحمل الاتصال معنى الصراع بحسب الهدف من اسلوب الاتصال بين الآخرين ، واللغة وسيلة هامة لهذه العملية ، انها التعبير عن الاتجاهات والاستجابات عن طريق الكتابة في أحيان معينة بحيث قد قيل : ان نقطة من الحبر تستطيع أن تخاق مليون فكرة ، .

ان الاتصال بهذا المعنى ربما يفيد في مواجهة مشكلات الموقف الاجتماعي،

ومع تطور وسائل الاتصال وهى الوسيلة العملية لمفهوم عملية الاتصال كفكرة .

اقول مع تطور هذه الوسائل فان نمر حياة الجماعة يصبح امرا ميسورا
مثما حدث مع اختراع جهاز التلفزيون كوسيلة للاتصال فقط سهل ذلك
الاختراع من حركة الاتصال بين الجماعات والافراد .

وتعتبر المنظمات وعاء اجتماعيا تتم فيه عملية التفاعل والاتصال وفيها
يعمل الأفراد معا لتحقيق غرض مشترك ، بل ان المنظمات الاجتماعية تساعد
على تحديد الأفراد أنفسهم واحلال مواقف التعاون بدلا من الصراع والمنافسة
الهدامة وربما يؤدي في النهاية الى حالة من التمثيل والتنشئة الاجتماعية
السوية .

ثالثا - التعاون : يعنى التعاون العمل المتبادل من أجل الحصول على
هدف معين فقد يتعاون الأفراد بمحض ارادتهم من أجل حماية أنفسهم وبديهي
فان الفرد المتعاون هو بالضرورة لايتوقع حول ذاته ، ان التعاون له سمة
اخلاقية ، ونستطيع ان نستقريء التاريخ لنرى كيف كان التعاون وسيلة
لاحداث التغيير الاجتماعى بل ومظهرا له وأداة في نفس الوقت في مجالات عديدة
سواء في الدين أو الاقتصاد أو السياسة .

وللتعاون منظور بيولوجى بمعنى التعاون من أجل البقاء ، كما تطور
للتعاون بين الأفراد من المستوى الغريزى الدفاعى الى المستوى الراضى وأصبح
سلوكا ديموقراطيا وسمة الحياة الاجتماعية فى الجماعة : صغيرة كانت او
كبيرة .

وهناك أشكال مختلفة للتعاون : فمنها الأنشطة الضرورية بين الفرد
والجماعة كضرورة حياتية ، وهناك التعاون بين الفرد والجماعة من أجل
الحصول على منافع خاصة في مواجهة الآخرين ، وهناك تعاون فرى صورة
أنشطة يطور بها الامراد قدراتهم للارتقاء بالنوع البشرى ، كما أن هناك
اجتماعية وتتطور شخصيته خلال دورة حياة الجماعة ويتمكن من اكتساب
خبرات جديدة مع الآخرين بحيث لا يشغل فكرة باية أفعال غير اجتماعية

نشاطا تعاونيا من أجل النهوض بالنوع الانساني واحداث الرفاهة والرعاية الاجتماعية .

وربما يبدأ التعاون في منطقة هامشية تسودها جماعة متنافسة وأخرى متعاونة بحيث يحدث انصهارا لانكار الجماعتين فيسود المنطقة كلها تعاون كامل يصبح المجتمع المحلى بذلك مظهرا لمياداة حياة متعاونة .

ان المساعدة المتبادلة هي المرادف الحقيقي لمفهوم التعاون وقد ظور كروبوتكين Kropotkinn اثنائية بحيث انه يرى ان المساعدة المتبادلة ربما تؤدي الى تطور ممكن ذلك ان المساعدة المتبادلة هي سمة الحياة النشطة ، ربما يقتل الحيوان بعضه بعضا أثناء حركة بينهما ، لكن هذه الحيوانات تستطيع ان تعيش داخل اطار جماعي عن طريق المساعدة المتبادلة ، وبمفهوم ترسيدي فان التعاون يعنى العمل معا في اختيار وطواعية والا أصبح الأفراد عبيدا للأقوى منهم وبذلك التعاون درجة من الكفاية الاجتماعية والاخلاقية في المجتمع .

رابعا - التنشئة الاجتماعية : تهدف التنشئة الاجتماعية الى مساعدة الكائن البشرى على التكيف السوى مع عادات الجماعة وتقنياتها ، ذلك ان الفرد يبدأ حياته متركزا حول ذاته ، وبالتدرج تنمو اتجاهاته ووعية تجاه الغير عن طريق أسلوب التنشئة أو التطبيع الاجتماعي ، بمعنى آخر يستطيع الفرد أن يتكيف مع الآخرين في اطار قيم الجماعة وأهدافها ومن هنا يصبح كائنا اجتماعيا بعد ان كان منذ نعومة أظافره كائنا بيولوجيا . ان « كيس » Clarence M. case يحلل مفهوم التنشئة الاجتماعية بما يسميه بالعمر الاجتماعي Social age بمعنى ان الانسان خلال فترة عمره يستطيع ان يكتسب من الجماعة الكثير من اتجاهات وقيم المجتمع ، ومن خلال هذا العمر الاجتماعي يتمكن الفرد من أن يكون لديه الوعي الاجتماعي Social awareness بما يدور في المجتمع ، ذلك الوعي الذى يساعده على الاحساس بالسعادة غي تقبل توجيهات المجتمع وفي ذات الوقت يشعره بالمسؤولية الاجتماعية تجاه أقرانه ، معنى هذا ان الفرد ككائن فيزيقي تتحول ميوله الموروثة الى طبيعة

تكون نتيجتها المنافسة الهدامة ، ومن منطق قياسي فان التنشئة تحمل معنى القرب أو البعد بين الفرد وأعضاء الجماعة .

ومن منطلق آخر يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية تعنى مدى تغير سلوك الفرد في المجتمع بحيث يتمكن من أداء دور ما داخل جماعته وفقسا لقدراته وما تطبع عليه من عادات وقيم . بل انه في احيان أخرى يمكن أن تحدث للمجتمع ذاته عملية التنشئة الاجتماعية وذلك حين يتحول من البساطة في تركيبه الى درجة عالية من التنظيم في الوظائف بين وحدته وطبقاته وعملية التنشئة هنا إنما توجه للجماعات وهدفها أن تكون هذه الجماعات على دراية بحركة التحول ومن هنا يمكن القول بأن التنشئة الفردية والاجتمعية تسيران جنباً الى جنب (١) .

وزيادة في الايضاح فانه يمكن القول بصدد مفهوم التنشئة الاجتماعية انه اذا كان للعامل البيولوجي دور في تكوين الأسرة الا انه ينبغي أن يصاغ هذا الدور في اطار الشكل الاجتماعي الذي ارتضاه المجتمع ، وتعدو أهمية عملية التنشئة في تحويل الفردية البيولوجية للكائن الانساني الى كينونة اجتماعية وذلك عن طريق الوظيفة الاسرية ، فالأسرة ما زالت تشكل البناء العاطفي لحياة الطفل وهي التي تساعد على التكيف السوي والتفاعل المتمر مع الآخرين اذا أحسنت تنشئته (٢) .

معنى هذا أن التنشئة الاجتماعية تعتبر إحدى العمليات الاجتماعية التي تساعد على تكوين علاقات اجتماعية ايجابية مع الغير ولذلك فهي عملية بناء وتنتمي بالفرد والجماعة على حد سواء فاذا كانت الجماعة هي الاطار المرجعي للفرد الذي يتقبل منها توجيهات المجتمع وقيمه ، فانه بالتالي يلزم ان يتوفر للجماعة كافة أساليب الترشيد الاجتماعي . بحيث تكون موصلاً جيداً لتراث المجتمع وأهدافه وهذا ما نقصده بالتنشئة الاجتماعية وأهميتها

Gillin : op. cit. p. 331.

(١)

Don Martindale : social life and cultural change (٢)

Dan Nostrand comp. Inc. New York, 11962 p: 39.

ذلك تكمن في حركة التغيير الاجتماعي المستمرة في المجتمع والتي تترب عليه آثار مختلفة كان على الجماعة أن تعي أبعادها ومقوماتها وفلسفتها بحيث تتمكن في النهاية أن تقدم للفرد مفاهيم اجتماعية صالحة تعبر عن أهداف المجتمع وتراثه وقيمه وعاداته وتقاليده . وبذلك تصل عملية التنشئة إلى الهدف المرجو منها .

خامسا - التكيف الاجتماعي : هي عملية الملاءمة بين الاتجاهات والآراء المتصارعة أو المتعارضة في المصالح والأهداف سواء بين الأفراد أو بين الطوائف المهنية ، وخلق مناخ جديد تنجس فيه علامات الرضا والاختيار بالواقع الاجتماعي والثقافي والمعايير والقيم السائدة .

ولكى تتم عملية التكيف بنجاح يلزم توفر حد أدنى من الشبابة بين ظروف البيئة الاجتماعية التي تواجه جميع الأفراد بحيث يستطيعون التفاعل بنجاح للترصل إلى التكيف المطلوب بحد أدنى من الصراع أو المقاومة .

ومن هنا يمكن القول أن عملية التكيف تحمل في طياتها عنصر التبدلية والتفاعل المستمر إلى أن يحدث التوازن المطلوب بين الجماعات المتصارعة أو المتعارضة . إن التوازن الاجتماعي الذي يتم هو توازن نسبي بمعنى أنه قد يحدث التوازن ثم سرعان ما تنجو في الأفق عوامل الخلل فيتطلب الأمر حلول أنواع جديدة من التكيف منعا لحدوث تصادم ، ومن الصعوبة الوصول إلى تكيف كامل في مجتمع متطور .

ومناك التكيف الثقافي الذي يعني قبول الفرد والجماعة لقيم وعادات واتجاهات بيئة اجتماعية لم يالفوها من قبل ، ومن شأن هذا التكيف الثقافي تمثل الأفراد الجدد لثقافة المجتمع ، وبهذا يعتبر التكيف الثقافي ظاهرة إنسانية اهتم بدراستها علماء الاجتماع خاصة العلامة الألماني الفرد ميبير (1) . وبمعنى آخر فإن عملية التكيف هي الأخذ والعطاء ، وقد تحدث بعد انتهاء عملية الصراع حيث يبدأ الطرفان المتصارعان في التعاون مع بعضهما

(1) د . أحمد الخشاب : مرجع سابق ص ٢٣١ .

البعض حين يقتنعان بأن الصراع ليس له نهاية مأمونة المراقب ، وبهذا يعتبر التكيف المظهر الأولى لعملية التعاون . وبمعنى أوسع شمولاً فإن القيادات يمكن أن تتكيف مع الحاجات الانسانية بحيث تتمكن من وراء ذلك أن تحدث تغييراً لصالح الجميع ، والتكيف بهذا المعنى طريق للتغيير والتماثل والوحدة (١) .

ويمكن القول إذن بأن التكيف يمثل مظهراً لعلاقات اجتماعية موجبة تعمل على الخلق والتجديد والابتكار والتغيير في كافة الجوانب الاجتماعية والثقافية في المجتمع .

سادساً - التمثيل : عملية اجتماعية هادفة تراكب كافة العمليات الإيجابية الأخرى في نشاطاتها وأهدافها ، وأبسط ما يمكن قوله عنها أنها عملية تتحدد فيها اتجاهات الأفراد والجماعات وتتماثل في جماعة واحدة أو بمعنى آخر أنها عملية تشير إلى التكيف بشكل موحد ، أنها التماثل بين كافة الاتجاهات غير المتشابهة مع القيم الاجتماعية والثقافية السائدة وعلى هذا الأساس يعتبر التمثيل عملية هادفة وخلاتة .

ومن هنا يمكن القول بأن كافة العمليات السابقة الإشارة إليها هي عمليات اجتماعية ذات طبيعة إيجابية تعمل على البناء واستقرار المجتمع وهي كما سبق القول تتكامل وتتداخل مع بعضها فالتعاون مثلاً يسير جنباً إلى جنب مع التكيف أو عملية التمثيل أو التداخل الاجتماعي وهكذا .

ومع ذلك هناك عمليات اجتماعية ذات طبيعة اتلافية مثل الصراع أو المنافسة الهدامة سوف نشير إليها فيما يلي :

سابعاً - الصراع : الصراع هو أحد العناصر الهامة في عملية التفاعل الاجتماعي ، ذلك أنه قد يتجه المتصارعان إلى الدخول في هذه العملية من أجل الدفاع عن تيم معينة أو من أجل الوصول إلى مكافآت اجتماعية مربوطة ومن

أجل ذلك يحاول الطرفان بذل كل ما في الطاقة من أجل الانتصار على الخصم
• من مراعاة لأية أهداف إنسانية أو أخلاقية .

وعلى هذا تعتبر عملية الصراع أحد الظواهر الاجتماعية التي عاشتها
المجتمعات عبر فترات التاريخ ، واهتم بدراستها علماء كثيرون أمثال العلامة
باريتو حيث الصراع من أجل القوة والتأثير ، كذلك فقد درس علماء الاجتماع
الألمان هذه الظاهرة ابتداء من تونيز التي سيميل وفيبر حيث اعتبروا الصراع
ظاهرة اجتماعية ولقد حل سيميل عملية الصراع من منظور اجتماعي وراى
أنها تحمل معنى الاجتماعية باعتبار انها تنشأ في مجتمع ، وقد يؤدي الصراع
الى تكامل الجماعة ، بل ان البعض يرى في الصراع سلوكا شعوريا رسيديا .
ان التحليل الموضوعي لخصائص عملية الصراع الاجتماعي يوضح لنا كيف
يمكن أن تتجه الصراعات بين الافراد والجماعة الى حد تحطيم القيم السائدة
والنضحية بالمكافآت او بالظروف الاقتصادية وغيرها من أجل تحقيق اهداف
الصراع . ان السلوك الصراعى قد يكون دافعا حين يتمثل أهدافا محدودة
وموضوعية يناضل من أجلها على العكس من ظهور صراعات غير منطقية تقوم
أساسا على العدوان وليس لدى اصحابها أدنى هدف محدد وواضح فضلا عن
انعدام المتغيرات الوظيفية التي يقوم على أساسها وتعتبر محركا له نحو
الوصول الى الهدف .

وعنك انطباع بناى مفهوم حركة الصراع بمعنى ان نمط البناء
الاجتماعى يحدد أى شكل من اشكال الصراع يمكن ان يتحقق ، إذ قد تلجأ
الجماعات المتصارعة الى تلمس كافة السبل لحل الصراعات بأسلوب بناء
حين لا يكون هناك نتيجة واقعية من ورائها . وفى الوقت ذاته قد لا يحدث
الصراع بين أفراد بل بين أنظمة متوازية داخل البناء وفى هذه الحالة سرعان
ما يحدث التحول نحو الابقاء على الأنظمة الصالحة لبناء المجتمع بعامه .

والصراع من خلال البناءات الاجتماعية أو الجماعات المختلفة وبين ما هو
وافد اليها من ثقافات غريبة عليها قد تتخذ شكلا عنيفا لأنه يمس كيان
الجماعة وتراثها بل إنه يهدر شخصية الجماعة بالبناء فى كل ما هو جديد
وغير مالوف وفى هذه الحالة فان العناصر ذات القوة والتأثير فى هذه البناءات
التقليدية أو الثقافات الواعدة هى التى يكتب لها الغلبة فى نهاية الأمر .

ومناك الصراع الأيديولوجي بين أطراف متنازعة وغير منسقة في مشاعرهما وعقائدهما السياسية ويميل كل طرف في هذه الحالة إلى التثبيت بمعتقداته وأفكاره ويناضل من أجل الحفاظ عليها إن لم يهتم بتغير الطرف الآخر حفاظا على بقائه هو في أمان وليس من شك في أن كتابات كارل ماركس تحمل أفكارا ستنى عن الصراعات الأيديولوجية الرأسمالية المستقلة بل وفي الوقت ذاته إحلال طيقة البروليتاريا (العمال) محل كافة الطبقات الفوقية لتتولى السلطة في المجتمع .

ولصراع علاقة وثيقة بحركة التغيير الاجتماعي في المجتمع ، إذ قد يؤدي إلى حالة من التكيف بين الأجزاء المتصارعة فيحدث التكامل بينها من أجل أحداث التغيير المطلوب .

وقد لا ينتهي الصراع بهذه الصورة السلمية فيمتد إلى صراع قوى غاياته فرض إرادة الخصم أملا في أحداث تغير من جانب واحد . وإن التاريخ مليء بحالات من الصراع الدموي والحروب من أجل إبقاء السيطرة السياسية على مجتمع ما . وعلى هذا الأساس فإن دراس التغيير الاجتماعي ينبغي أن يقف على مواطن الصراع وديناميات التغيير الاجتماعي وأثرهما على تصادم القيم والمعايير والاتجاهات بعامة وفضلا عن ذلك فإنه من الإهمية بمكان أيضا أن يقف على صيغة العلاقات البنائية العامة والأنظمة الخاصة ونسق القيم المستهدف من حركة التغيير (١) .

وقد تؤدي المنافسة بين الأفراد إلى حالة من الصراع بهدف اكتساب مكانة اجتماعية مثلا وغالبا ما يحدث ذلك من خلال مواقف اجتماعية بين الجماعات صغيرة كانت أو كبيرة ، كما قد يحدث الصراع بين الجماعات المحلية من أجل تغيير حط التقاليد السائدة وفي الوقت نفسه فإنه قد يكون الصراع في حالة متوازنة أو قد يحدث العكس حين يتفرد ما في حالة الصراع إرادة زميله . وفي الحالة الأولى يستطيع الطرف الأول أن يتعلم أشياء كثيرة من

International Encyclopedia of the social sciences (١)

Lewis A. Coser p. 532.

الطرف الثاني ، وقد تؤدي نتيجة الصراع الى التعاون وفي الحالة الثانية يحدث الصراع بين قوى غير متكافئة ، ومعنى ذلك أن الاقوى يصرح الطرف الأضعف دون أن يستفيد أي مهارة جديدة (١) .

من هنا يمكن القول ان الصراع الاجتماعي بصفة عامة يعتبر أحد العمليات الاجتماعية المفرقة وما حالة التكيف أو التعاون التي قد تنجم عن الصراع ان هي الا موقف اجتماعي تمليه ظروف الصراع نفسه ومع ذلك فإنه لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من كافة مظاهر الصراع بل حتى داخل المجتمع الواحد قد يحدث الصراع بسبب متغيرات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تقليدية وعلى هذا يمكن القول أن الصراع هو سمة الحياة المعاصرة بصورة عامة .

ثامناً - المنافسة : وهي من المنظور الاجتماعي تنطوي على طبيعه فضائية حين تتشابك القوى أو الجماعات المنافسة من أجل الحصول على هدف محدد يحاول أن يبلغه كل المتنازعين على نحو أسرع وبطريقة أفضل وبأقل قدر من التضحية . المنافسة بهذه الصورة عملية اجتماعية ايجابية وظيفيا وإن كانت في ذات الوقت مفرقة في طبيعتها ذلك أنها تعمل على حفز همم المنافسين وتنشيط فاعليتهم بهدف كسب الجولة والقضاء على الخصم ومن ثم الحصول على الهدف وللمنافسة بهذه الصورة عنصرا ديناميا تفاعليا ويعتبر أداء انشائية وبحيث تكون المنافسة ايجابية أو بناءة أو انشائية في كافة المستويات الاجتماعية ينبغي أن تكون متعادلة أو متماثلة أو متقاربة بين المنافسين وليس من شك في أن الضعية الثقافية للمجتمع هي التي تحدد كفاءة الأسس الاتلافية والسلبية فتؤدي الى الخصام والقطيعة والعداوة سواء بين الأفراد أو الجماعات خاصة اذا كان أحد المتنافسين الوصول الى هدفه على حساب خسارة الطرف الآخر (٢)

ويشير الى هذا المعنى العلامة بوجاردس حين يتحدث عن مفهوم الصراع إذ يرى أن التفاعل يحتوي على جانب الصراع والتعاون وبصفة عامة عنصر

Bogardus : op. cit. p. 527.

(١)

(٢) د . أحمد الخشاب : المرجع السابق ص ٣٢١ .

المنافسة وهي في مفهومه عملية الحصول على الطلب حين يكون عرضه قليلا وقد تكون المنافسة هدامة Destructive كما قد تكون منافسة انشائية Constructive فاذا استطاع فرد ما قهر ارادة زميله الآخر تكون المنافسة في هذه الحالة منافسة هدامة ويكون صحتها هو الاستئثار ومن ناحية اخرى فان هناك المنافسة البناءة حين يتنافس الأفراد على الحصول على هدف محدد وسام مثل النجاح في الامتحان أو الحصول على محصول ناضج اى ان الافراد في هذه الحالة يتنافسون على تنفيذ مشروعات بنائية وقد تؤدي المنافسة الى الصراع حول اكتساب المكانة (١) .

خلاصة القول أننا تناولنا مفهوم العلاقات الاجتماعية من زوايا عدة وناقشنا طبيعة هذه العلاقات سواء من حيث الشكل والمضمون وكنا حريصين على ابراز التفاصيل السوسيوولوجي من خلال تراث الفكر الاجتماعي عند علماء الاجتماع وانتهينا الى توضيح مظاهر تلك العلاقات كما تبدو في الواقع الاجتماعي وقلنا ان هناك عمليات اجتماعية مجمعة أو انشائية مثل التعاون والتكيف الخ وفي الوقت نفسه فان هناك علاقات اجتماعية سلبية مثل الصراع والمنافسة الاتلافية .

ولكن تجدر الإشارة الى أن اشكال هذه العلاقات الاجتماعية كمثالا تجبر في المجتمع متداخلة متفاعلة بل ويشوبها سعة التكامل ، وان كنا قد ابرزناها في صورة تجزئية فان ذلك من باب الدراسة فقط فليس أحد ينكر أن فردا ما قد يتعاون مع أخيه الانسان ولكن بفعل مؤثرات اجتماعية واقتصادية أو ... الخ . ينقلب هذا التعاون الى صراع أو منافسة اذا توفر في الوقت الاجتماعي عوامل تدعو الى ذلك .

ومن ناحية أخرى فان دراستنا للعلاقات الاجتماعية بهذه الصورة يوضح اهتمام الاجتماعيين بمناشط هذه الدراسة اذ لا يتصور أحد أن يكون هناك مجتمع ما بدون علاقات بين أفراد وجماعته ومن ثم كان حريا بعلم الاجتماع أن يخصص أحد مباحثه الهامة لدراسة العلاقات الاجتماعيه دراسة واقعية كما تبدو في المجتمع ، لا دراسة مجردة ميتافيزيقية كما حاز انصار

مدرسة العلاقات في ألمانيا ذلك عند تعريفهم لعلم الاجتماع ومن هنا يكتسب العلم السمة النظرية والامبريقية في ذات الوقت .

وإذا كنا قد اعتبرنا سمة الدينامية من سمات العلاقات الاجتماعية بصفة أساسية فهل يساعد ذلك على أحداث تفسير اجتماعي سريع أم لا وما طبيعة هذا التفسير ؟ وكيف تؤدي العلاقات الاجتماعية المتطورة إلى التعجيل بحركة التغيير في المجتمع ؟

هذا ما سوف نوضحه في الفقرة التالية .

ثالثا - التفسير الاجتماعي :

التفسير الاجتماعي من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في الدراسات السوسيولوجية ذلك لأن علم الاجتماع يقتصر فحسب على دراسة المجتمعات الاستاتيكية الثابتة المستقرة لكنه يهتم بشدة بدراسة المجتمعات الدينامية المتطورة خاصة وأن عالمنا المعاصر يشهد تغيرا سريعا في بنائه ووظائفه ومن ثم كانت الضرورة لملاحقة دراسة هذه التغيرات بأساليبها المتباينة من أجل الوقوف على عوامل القوة وعوامل الضعف في المجتمع .

وبإدنى ذي بدء يمكن القول أن هناك ثلاثة أفكار عامة يحكم اليهم دارس التغيير ، تلك الأفكار تتعلق بدرجة النمو السكاني التي يشهدها المجتمع ، ثم ما وصل إليه ذلك المجتمع من تقدم علمي ، وأخيرا الاستخدام التكنولوجية وأثرها على مسار حركة التغيير ، ومن شأن تأثير هذه العوامل الثلاثة على حركة التغيير فإنها تعطى الفرصة حينئذ لارساء قواعد التنظيم الاجتماعي ما زالت ملاحظة حتى في أرقى الشعوب حضارة معني من مظاهر سوء التنظيم يعد ظاهرة مصاحبة للتغيير الاجتماعي لفترة من الوقت إلى أن يحدث الثبات لعوامل حركة التنظيم خاصة وأن الأفراد والجماعات يميؤون دائما نحو مواجهة ما ينجم عن سوء التنظيم من مشكلات بفضل الاتجاه إلى نظام تربوي سليم مع تقدم ملموس في العلوم الاجتماعية التي تساهم في إعادة صياغة التنظيم (١) .

Francis A. Allen : Socio-Cultural Dynamics, The (١)
Macmillan Comp. New York 1971 p. 382.

ومعناك تفسير لحركة التغيير الاجتماعى حيث يرى لندبيرج **Lundberg** ان التغيير الاجتماعى عملية تشير الى تباين فى السلوك الاجتماعى فى المجتمع، وفى ذات الوقت يشير التغيير الى وجود قدرات قادرة على التحول ، ومن مظاهر ذلك الاهتمام بدراسة التغيير الاجتماعى وعوامله المادية أو الثقافية أو عن طريق البحث عن وسائل جديدة فى الطاقة وبفعل ارادة التغيير عند الإنسان أو ما يمكن أن نسميه بالطاقة الاجتماعية لاحداث التغيير ، ويسعد الاجتماعيون حقيقة حين تكون لاحتمالاتهم المتوقعة جدوى وتأثير على النظام الاجتماعى .

وقد يعود التغيير الاجتماعى الى تفاعل مجموعة من الحالات والعوامل الجغرافية مثلا ، او طاقة الانسان وقدرته على استيعاب التكنولوجيا فضلا عن الرغبة فى استحداث أساليب جديدة فى التنظيم الاجتماعى ، وقد يرجع التغيير الى تأثير النسق القيمي السائد فى المجتمع ، والذي يكون له علاقة وثيقة بالمفهوم التكنولوجى ، ان تفاعل وتناسق جميع هذه العوامل أمر جوهري فى احداث التغيير المطوب ذلك أن حدوث التغيير فى واحد من أجزاء الثقافة من شأنه ان يحدث عدم توازن ثقافى باقى الأجزاء ، أو كما يقول أوجبرن يحدث تخلفا اجتماعيا بسبب عدم قبول التغيير بتأثير السنن الاجتماعية التقليدية السائدة .

ومن هنا نجى أهمية ربط التغيير الاجتماعى بثقافة المجتمع السائدة ويمكن القول أن النمو الثقافى المتكامل يميل الى الانتشار ، بل ان من العوامل الهامة المؤثرة فى التطور الثقافى ما يتعلق بمشكلة السكان مع انفسار ظاهرة التخصص وتقسيم العمل وظهور الاختراعات المادية وانتشار النسق المصرفى فى الحقل الثقافى ، وبناء على ذلك كان من الضرورى لدفع عجلة التطور الثقافى استحداث اختراعات اجتماعية بمعنى ظهور قيم جديدة وتقاليد متطورة تبنى فيما يتعلق بالأيديولوجيات والنظم والانساق القيمة بعامة حتى تراكب هذه المستحدثات المستوى التكنولوجى المادى وبذلك تسير عجلة التغيير فى خط متواز . إلا أنه من المساعد أن السمات الثقافية الروحية تنمو ببطء على هذا كان من اللازم ونحن نقيم حركة التغيير الاجتماعى أن نميز درجة عمومية العامل الثقافى وتوازن أجرائه فى احداث التغيير وأن ذلك لن يتم إلا عن طريق القوانين العلمية والمعرفة بعوامل التغيير التى تساعدنا على التنبؤ بالقدر التام

من التغيير الذى يحدث (١) وسوف نشير الى تفصيلات هذا الامر عند الكلام عن نظريات التغيير .

وحول دور القيم الاجتماعية فى احداث التغيير او اعاقته يرى جلن ان قيم المجتمع يحتكم اليها الأفراد أو الجماعات حول قبول أو رفض تعلقات التقليدية أو المستحدثة والتي يكون لها آثارها على حركة التطوير الاجتماعى وفى المجتمعات المحافظة تلعب دورا عكسيا فى مقاومة التغيير اللهم لا اذا كانت هناك ارادة عامة من جانب المجموع على ضرورة استحداث قيم جديدة تواكب الوضعية المناسبة للمجتمع وعلى أى حال فان نسق القيم يدخل مجال الصراع بين القديم والجديد الى أن يحدث التكيف أو تغلب طائفة من القيم على الأخرى وبذلك ينتهى هذا الصراع القيمى الى وضعية يتفق عليها الأعضاء (٢) .

وليس يخاف ما لدور القيم الاجتماعية باعتبارها تمثيل الوجه الروحى للثقافة اذا استعربنا مفهوماً أوجبرين ، من تأثير خطير على التعجيل بالتغيير أو مقاومته وكما أشار جلن عن صرامة القيم تبدو واضحة بالفعل فى المجتمعات التقليدية أو المحافظة وفى هذه الحالة فان أحداث التغيير فيها لن يتم الا بصراع بين القديم والجديد ويظفر الصالح للمجتمع فوق السطح فيحدث التغيير المنشود .

ويربط بارسونز بين حركة التغيير الاجتماعى التى تسود مجتمع معين بكافة مظاهر الفعل الاجتماعى الممارس من قبل الجماعات ، أنه يرى أن هناك تباينا حول أشكال التغيير الاجتماعى بتأثير التغيرات الاجتماعية التى تبدو فى المجتمع ، بل ان التنظيم الاجتماعى ليجبوا انعكاسا واضحا لدى قنرة الجماعة على أحداث التغيير من عدمه بفضل ما يظهر من تكيف فى جزئيات النظام أو حدوث سوء تنظيم اجتماعى (٣) .

Lundberg : Sociology op. cit. p. 728. (١)

John Lewis Gillin and TPh. Gillin : Cultural sociology, (٢)

The Macmillan Comp. New York, 1943 p. 584.

Talcott Persons and Others : Theories of society V. (٣)

The free press of glencoe, 1961 U.S.A. p. 1219.

ذلك هي تفسيرات مختلفة لطبيعة التغيير الاجتماعي وأهدافه وعوامله تمثل في مجملها اطارا مرجعيا لدراسة هذا الموضوع الحيوى . وسوف نزيد الامر ايضا بما نقشة النقاط التالية :

- اولاً : النظريات المفسرة للتغيير الاجتماعي
- ثانياً : دور التكنولوجيا في التغيير الاجتماعي
- ثالثاً : التنمية والتغيير الاجتماعي
- رابعاً : التغيير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية

هذه هي العناصر الرئيسية التي تمثل اطارا مرجعيا لتفسير حركة التغيير الاجتماعي في المجتمع سواء كان متقدما أو مجتمعا ناميا ، فضلا عن اشتمال هذا الاطار لكافة المتغيرات المعاصرة المؤثرة في مسار حركة التغيير الاجتماعي وأهدافه .

اولا - النظريات المفسرة للتغيير الاجتماعي :

هناك مجموعة من المفاهيم ، يلتبس على البعض تفسيرها يحاولون اقترانها بمفهوم التغيير الاجتماعي برغم التباين الشديد في معانيها وأبعادها السوسولوجية من بين تلك المفاهيم : مفهوم التقدم وهو يشير الى الاتجاه نحو الأمام ، كذلك هناك مفهوم التطور ويشير الى التقدم التدريجي ، بينما قد يؤدي التغيير الى تقدم أو على العكس يؤدي الى التخلف بحسب عوامله ومسبباته .

وهناك نظريات مختلفة تحاول تفسير معنى التغيير واتجاه مساره

وعوامل نشأته الى غير ذلك ونحاول استعراضها فيما يلي (1) :

١ - الفوضوية : يلصق البعض بمعنى التغيير الاجتماعي ، ما يعرف بالمذهب الفوضوى والذي يقترن باسم المفكر « برودون » الذى عرف في تاريخ النظريات السياسية بابى الفوضوية ، ولقد سبق كتابات هذا المذهب محاولات

Richard T. La priere : Social change, McGraw-Hillbook
comp. New York, 1961 p. 9.

اصلاحية جادة شارك فيها العلامة الفرنسي سان سيمون ولكن لم تستجب الحكومات لآراء المصلحين الاجتماعيين في فرنسا ، فاجتاحت البلاد دوجة من المبادئ المتطرفة • والتي عرفت بالفوضوية والتي تزعمها بروديهون (١) •

وعناك كتابات تدور حول فكرة أن هناك حاجزا أمام التقدم الاجتماعي . وأن هذا الحاجز هو الحكومة فهي في كل مكان تقف موقف العداء للتغيير منذ أن جاءت بالانتخاب الاجتماعي وتحاول أن تحتفظ بالاسكال التقليدية لنمط الحياة الاجتماعية التي جعلها أكثر استقرارا وليست الثورة السياسية هي الحل الأمثل لعلاج هذه الظاهرة ذلك لأن الحكومات البرلمانية ليست أفضل انتظاما من الحكومة الملكية •

فكان المبادئ الفوضوية التي تحاول تغيير شكل الحياة بالاسلوب الفوضوى تميل إلى أن تكون نظرية في التغيير الاجتماعي •

٢ - الماركسية : نجد من التعريفات الاجتماعية لمفهوم التغيير ما قيل عن الماركسية إذ يرى كارل ماركس Marx أن المجتمع يمر في مراحل متتابعة يطلق عليها التتابع التاريخي والتي أن جاء القرن التاسع عشر ظهرت الرأسمالية كمرحلة في النظام الاقتصادي وكعلاج لمشكلة الانتاج البسيط وهي قائمة على أساس حرية الأفراد في الحصول على الموارد والثروة المادية ، وكان من نتيجة ذلك حدوث نوع من التقدم المادى والاجتماعى ، ثم دارت مناقشات حول فائض القيمة غير أن ماركس يرى أن الرأسمالية المتحكمة تشكل الحكرمه في الوقت الذي لايتوفر فيه الوعي لدى عمال الصفاة من أجل مناهضة التسلط الرأسمالى الأمر الذى يتطلب معه تعبئة الشعور الطبقي وتطويره من أجل الثورة على هؤلاء الرأسماليين المستغلين ، إذ ينبغي أن توجه الثورة للعاملين نحو تحطيم النظام السياسى الرأسمالى وتحطيم شرعية التسلط الطبقي المستغل وفي النهاية يجب أن تقوم حكومة البروليتاريا من الأغلبية العمالية . وهي الحكومة الشرعية في نظره لأنها تخلق نظاما اقتصاديا مجتمعا قائم

(١) د • مصطفى الخشاب : النظريات والمذاهب السياسية • مطبعة لجنة البيان ١٩٥٨ ، ص ٢٦٤ •

على أساس المبدأ المعروف « من كل بحسب قدرته ، ولكل بحسب حاجته » -
وحقيقة الأمر ن مارس يعتقد أن الثورة هي واحدة من الأحداث المثرة في
عملية التطور .

وزيادة في ايضاح النظرية الماركسية Marxist Theory كأحدى
نظريات التغيير الاجتماعى يرى تيرياكيان Tiryakian أنه في تاريخ الفكر
الانسانى نفر قليل من المدرسين كان لهم بصمات على اتجاه الأحداث في العالم
أمثال كارل ماركس ودرس على يد هيجل الألمانى الذى يرى ن الثقافة
والمجتمع يتحركان في التاريخ تجاه فكرة مطلقة وان حركة المجتمع تجاه هذه
الفكرة تكتسب عن طريق الحركة الديالكتية وأكد هيجل على الوحدة بين
المتناقضات كوسيلة للوصول الى التقدم من خلال الأحداث المتناقضة
والمصارعة .

ولقد تعلم ماركس هذا المنطلق الجدلى وأطلق على اتجاهه ، بالاتجاه
المادى ، بمعنى أنه درس الروح المادية وتحدث عن التكنولوجيا والعناصر
الاقتصادية بأسلوب جدلى ، ان كل مرحلة للتنمية والتنظيم الاجتماعى
والانسانى المصاحبة لها تحمل في طياتها بذور الانحلال التى تنفضج فى الأنظمة
المتناقضة ، وعلى هذا فان ماركس يقصد في النهاية من منطقة المادى كما سبق
القول الى إقامة نظام اشتراكى وهو بمثابة مرحلة أخيره في التطور النسقى
للنظم الاقتصادية .

وبالرجوع الى النظرية الماركسية ، فان النظام الذى يحكم انقوى
المادية في الإنتاج يكون أقرب موضوعية الى التغيير ذلك أن المجتمع يحوى
مجموعة من النظم التقليدية التى تقاوم التغيير . أما قيامه على أساس
تكنولوجى يجعله أكثر يسرا في تقبل التغيير نحو هدف محدد ، وفى المجتمعات
الرأسمالية فان الوضع الطبقي يكون أميل الى ظهور طبقة مالكة على طبقة
الرأسماليين وطبقة عاملة تمثل الغالبية العظمى لذلك نأمس دائما احتمالات
متصارعة بين هاتين الطبقتين للحصول على العائد المجرى (١) .

Edward A. Tiryakian : Sociological theory values,
and socio-cultural change The free press of glencoe, London
1963 p. 509.

ان كل ما يمكن أن يقال عن النظرية الماركسية كاحدى نظريات التغيير أن لها هدفا يسعى الى تحقيقه هو تغيير شكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحيث تتسم بالصبغة الاشتراكية والقضاء على النظام الرأسمالى وتوجيه كل الامور فى المجتمع الاشتراكى بعد ذلك عن طريق الطبقة الحاكمة من العمال الذين هم أكثر عددا وأسرا حالا ، وأيد وسيلة تلك النظرية فى تحقيق هذا التغيير هو الثورة على الأوضاع القائمة وتحطيم كافة النظم التى لا تتفق وتحقيق الاشتراكية .

وبطبيعة الحال فان ماركس قد اقام نظريته هذه على أساس العوامل الاقتصادية فحسب ، فى حين أننا كاجتماعيين نوّمن بتعدد العوامل والاسباب الحديثة للتغيير الاجتماعى ، فضلا عن ذلك نوّمن بتكامل هذه العناصر المختلفة وتداخلها وتفاعلها من أجل تفسير الظاهرة وتحليلها تحليلًا موضوعيًا .

٣ - الاشتراكية الفابية : وهناك تفسير آخر لمفهوم التغيير الاجتماعى

وطبيعته وأهدافه ويجىء ذلك التفسير من جانب الاشتراكية الفابية إذ أنه بصفة عامة يمكن القول ان نظريات التغيير الاجتماعى قد تقدمت خلال القرن التاسع عشر ، ويؤمن الفابيون بالاشتراكية المعتدلة وذلك لا يرون أن الثورة هى بالضرورة أداة للتغيير فى المجتمع بل أنهم يرون أن التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية انما يتم تدريجيا . ان الصراع الحقيقى فى نظرمهم يدور حول الفهم الخاص للحقوق فى المجتمع الاشتراكى ، ولا يضعون فكرة واضحة عن دور الحكومة ومسئوليتها ويعتقدون بصفة عامة فى تأثير الفعل السياسى ، ذلك أن المبادئ الاشتراكية يجب ان تخضع للتطبيق لأنهم يعتقدون أن المحور الاساسى للاشتراكية هى اكبر كمية من السلع لأكبر عدد من الناس ويمكن تحقيق ذلك فى الحال عن طريق تنفيذ مشروعات الإصلاح الاجتماعى .

ان الاشتراكية الفابية بهذا التصور تمثل صورة أو اتجاهًا فكريًا للاشتراكية بصفة عامة هدفها أيضا لحدوث التغيير الاجتماعى من أجل هدف محدد هو اصلاح النظام الاقتصادى السائد فى المجتمع الأوربى ، أى أن عنصر الإصلاح هو العنصر الغالب على تفكير رواد هذه النظرية فكانها تتفق فى الصلاحيات العامة للحركة الاشتراكية وان اختلفت فى أسلوب التطبيق .

٤ - النظرية الدائرية : تشير هذه النظرية الى اتجاه حركة التغيير داخل المجتمعات وتستند في تأكيد آرائها بالحقائق والمعطيات التاريخية المتاحة وهي تفترض أن التغيير في ضوء هذه الحقائق يميل الى الكمال ، وإن نظريات ماركس والفابيين قد أفادت في توضيح الرؤيا حول طبيعة المجتمعات البدائية مقارنة بتلك المجتمعات المتطورة في أوربا وتعتقد هذه النظرية في نسبية درجة التغيير من مجتمع لآخر بحسب العوامل المعجلة بحدوثه أو المعوقة له .

٥ - النظرية التاريخية : ان القول بأن المجتمع يتغير نحو الكمال فكرة قديمة جامدة ، ذلك أن التغيير الاجتماعي قد يتجه الى التخلف وليس بالضرورة الى تحقيق درجة من الكمال والتقدم . اننا حين نركز الاهتمام حول ثقافة الانسان في مجملها وعلى وجه الخصوص حين نركز الانتباه على الجانب المادي منها المتمثل في التكنولوجيا نجد في هذه الحالة ان التغيير يتجه من البساطة الى التعقيد ، وأن الأمراد كجماعة هم أصحاب المصلحة في تحقيق التغيير ، بل ان دراسة التاريخ الاجتماعي وعلى وجه الخصوص التاريخ الوسيط فان الباحث يجد فيه انطباعا عن أناس عاشوا مع بعضهم البعض بروح جمعية ، فضلا عن ذلك تعتبر النظرية التاريخية أن التغيير ذو طبيعة حيوية وبيئية .

٦ - نظريات خاصة : ونصلا عما تقدم فان هناك نظريات خاصة درست التغيير الاجتماعي حيث ترجمه الى متغيرات اجتماعية خاصة . ومن بين هذه النظريات - النظرية الانتشارية ، ففي أثناء السنوات الاولى من هذا القرن قد تبلورت فكرة المراكز الثقافية المسيطرة وصيغت في نظرية للتغيير الاجتماعي بواسطة سميت G. Elliot Smith و الباحث في تاريخ مصر ، إذ أنه منذ حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م يلاحظ سميت وجود ظروف غير طبيعية على ضفاف نهر النيل أنتجت تطورا ثقافيا على هذا النهر ، ولاحظ ان تكنولوجيا الزراعة تتطور الى أفضل وانتشرت هذه الحضارة من الشعب المصري الى الشعوب الأخرى ، فأحدثت تغيرا اجتماعيا فيها ، ولأثبت صدق هذه النظرية فان سميت يحاول أن يوجد مناطق ثقافية متشابهة مع الحضارة المصرية كما في

بيرو وميلانيزيا ، وأصبحت هذه الخصائص الثقافية لهؤلاء الناس عناصر ثقافية وحيوية بسبب هذه الموجات الثقافية المنتشرة ، وبعد سميت انقسم الأنثروبولوجيون الثقافيون الى معسكرين : الانتشاريون الذين يحاولون ان يفتنوا اثر كل مركز وغالبا في مصر ، وفريق المعتدلين الذين كانوا يميلون الى التفكير في ان الناس يتطورون معتمدين على قدراتهم الثقافية .

٧ - نظرية الحتمية الجغرافية : يهتم الجغرافي الأمريكي هنتنجتون Ellsworth Huntington - العامل الجغرافي في تفسير تباين الناس واسباب حدوث التغيير الاجتماعي ، لذلك فانه يرجع اختلاف خصائص الناس الى مجموعة من العوامل الجغرافية ، وقد استعان في تفسيره للتغيير الاجتماعي من منظور جغرافي بكل مقومات النظرية الدائرية في التغيير ، وكما قال سميت يرى هنتنجتون أيضا أن مركز المدنية هي على ضفاف نهر النيل حيث انه في اطار هذه الظروف الجغرافية المتصلة نمت وتطورات الثقافة ، في نظره أن هذه الظروف الجغرافية انما تمثل المناخ الصحي للتطور .

٨ - نظرية الحتمية البيولوجية : جاء العالم الفرنسي جوبينو Gobineau في مستهل القرن التاسع عشر بنظرية انحطاط الجنس، وبالتالي فتح الطرق الى المانيا لتبني فكرة التعصب العنصرى التي غذاها عند الشعوب الالمانية أدولف هتلر ، فضلا عن ذلك فقد أثار جوبينو مسألة نقاء الدم ، الأمر الذى دفع الأفراد الى الاعتقاد بأنهم من خصائص راقية ، وأساس نظرية الحتمية البيولوجية افتراض أن الناس ينقسمون الى اجناس Races ولذلك ينبغي أن يكونوا متميزين في الخصائص الموروثة والتي تعمل على تطوير الاجناس وتقدم الحياة الاجتماعية .

غير أن هذه النظرية التعصبية لا تجد رواجاً عند علماء الاجتماع . فالعادات الحيوية ليست سببا في احداث التغيير الاجتماعي برغم النظره المتكاملة المتمثلة في تضافر عوامل عدة تحدث التغيير وعدم الاكتفاء بالعامل

الواحد كسبب جوهرى فى أحداث هذا التغيير بخلاف ما نلاحظه من آراء واتجاهات تشيىر إليها تلك النظرية أو غيرها .

٩ - نظرية التمثيل الاجتماعى : حيث يرجع الى توماس W.T. Thomas

الذى كان مغرما بالتحليل العلمى ، يرجع إليه فى تبنى هذه النظرية والتي أدخلها فى حساباته عند تفسير طبيعة التغيير الاجتماعى واتجاهه ، وان توفر للبعض الذين هاجموا هذه النظرية .

١٠ - النظرية الأكلوجية : فى خلال عام ١٩٢٠ أعطى علم الاجتماع

اعتبارات هامة لما عرف عن مدرسة شيكاغو برئاسة روبرت بارك Robert E. Park اهتمامها بدراسة البناء حيث ان بارك لم يهتم بنظرية التمثيل الاجتماعى فى أحداث التغيير وانما قال بالاكولوجيا الاجتماعية التى أظهرت مفاهيم معينة فى اطار تفسير التغيير ومنها مفاهيم المنافسة والصراع كمظاهر تسود مناطق مختلفة وأخضعت المدرسة الأكلوجية هذه المفاهيم للدراسة ، وأظهرت الأكلوجية الاجتماعية ما بينها من ترابط فى تفسير التغيير الاجتماعى وأوضحوا أن عالم للنبات أو الحيوان يخضع لقوانين طبيعية و فى التطور ، وأيضا فان الجماعات الانسانية لابد أن تخضع لهذه القوانين مع الاختلاف فى درجة التشابه .

هذه النظريات المختلفة المفسرة لحقيقة التغيير الاجتماعى متباينة مع بعضها البعض ، وواضح من آرائها التعصب لتخصص معين ، فالتاريخيون يفسرون التغيير من منظور تاريخى ، والجغرافيون يفسرون التغيير من منظور جغرافى ، وهكذا ، هذا فضلا عن تسلط أفكار معينة على رواد بعض النظريات، تلك الأفكار تحاول أن تتجه بفكر هؤلاء الرواد وجهة معينة ، فاصحاب النظريات الاشتراكية مثلا يفسرون التغيير الاجتماعى فى ضوء مظاهر اللبؤس الاجتماعى الذى يسود المجتمع العمالى .

ومع تباين تلك النظريات فى تفسير التغيير الاجتماعى إلا أنها تفيد فى أنها تعطى إشاعات معينة لأسلوب وكيفية دراسة التغيير ، فضلا عن لثراء

المعرفة عند الباحث حتى يتوفر لديه عوامل عدة تساعده في تفسير التغيير من منظور تكاملي .

وبهذه - كاجتماعيين - ان نسير الى تراث الفكر السوسولوجي في دراسة التغيير الاجتماعي على الرغم من أننا المأخوذ الى بعض اتجاهاته مثلما قلنا عن نظرية التمثيل الاجتماعي أو ما نادى به النظرية الاكولوجية وغيرها . ولكننا في هذا المقام نحاول أن نوجز آراء كل من ماكس فيبر وتالكوت بارسونز وسوروكن وأوجبرن في هذا المجال (١) .

ماكس فيبر :

يلاحظ فيبر أن الرأسمالية والبيروقراطية قد ظهرت في العالم الغربي مع نسق من المعتقدات والغايات والأهداف التي تحمل الصيغة الدينية المقدسة وأنه على العكس من ماركس فهو يفترض ان الهدف الديني ربما يعتبر كمعامل له وثيق الصلة بالمعايير السائدة التي ربما تكون مهمة في تحريك المجتمع تجاه تحقيق الرأسمالية البيروقراطية وعلى هذا فان تفسير فيبر يختلف تماما عن التفسير الماركسي . ان الاعتقاد في الله والعمل الجاد ، والاتجاه نحو التقدم ، كلها تخدم في اعداد الافراد لتحمل مسؤولياتهم وأدوارهم .

وان واحدا من أمتع تفسيرات فيبر عن التغيير هو تحليله لهذا التغيير الاجتماعي في اطار النظام التقني حيث تبدو فيه الزعامة الشخصية لها صفة مقدسة ولها أتباعها ومريدوها . معنى هذا ان ماكس فيبر يحول تفسير التغيير الاجتماعي من خلال تحليله للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت ظهور فكرة الرأسمالية والبيروقراطية حيث كانت تسود قيم دينية . ربما كانت على صلة مؤثرة في تحريك الأحداث الاجتماعية السائدة نحو التغيير بطريقة أو بأخرى .

تالكوت بارسونز :

يحاول بارسونز أيضا تفسير التغيير الاجتماعي من خلال التأكيد على تفاعل الأفكار المادية في التعجيل بحركة التغيير ، ويتم هذا التفسير من خلال

النسق الاجتماعي الذي قد تبدو فيه عوامل مقاومة للتغير من خلال جماعات من الأفراد لم تتكيف اجتماعيا مع الظواهر المستحدثة ، فضلا عن ذلك يضيف بارسونز عاملا هاما يساعد على سرعة التغير الا وهو عنصر التوجيه ، ذلك أنه اذا أحسن توجيه الطفل مثلا منذ نعومة أظفاره وتطبع على ديناميات التغير من خلال التدريب المستمر والادوار التي يتمثلها بها فان من شأن ذلك مساعدته على التغير وتفاعله الدائم مع التغير من أجل تحقيق ذلك .

ومع هذا فان بارسونز يؤكد على وجود بعض المشكلات من خلال نظرية التغير في النسق الاجتماعي تتعلق بأسلوب تفاعل مع الآخرين C. Lag والعمليات الدافعية في النسق التي تعجل بالتغير أو تقف عقبة في سبيله . . . الخ (١) .

اذن فتفسير بارسونز للتغير انما يجيء من اهتمامه بدراسة الانسان الاجتماعية وما يظهر فيها من أفعال اجتماعية وموجهات ذات طبيعه أخلاقية واجتماعية .

سوروكن :

تبدو المظاهر العديدة لحركة التغير الاجتماعي عند سوروكن من خلال نظريته من الديناميات الاجتماعية والثقافية ويرى أن هناك تلازما في حدوث التغير بمقدار الطاقة التي تبذل من أجل الاعداد له . وهو لا يخفى التأثيرات البيئية المرجحة لمسار التغير ومستقبل النسق الاجتماعي ، ويعترض سوروكن على نظرية التخلف الثقافي - والتي سوف نشير اليها فيما بعد - والتي تقسم الثقافة الى جانب مادي هو التكنولوجيا وآخر معنوي يشتمل على المعتقدات والفلسفات وغيرها وأن التغير انما يصيب الجوانب المادية بصورة أسرع كما يقول بذلك أو جبرن ، وهو يرى ينبغي أن ننظر لتلك المسألة نظرة متوازنة بحيث نستطيع ان نحلل ماقد ينجم عن التغيرات الاجتماعية من مظاهر سوء التنظيم الاجتماعي أو ظهور حالات باثولوجية في المجتمع . التغير اذن في مفهوم سوروكن انما يتم من خلال حركة دينامية لكافة العوامل الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع في أسلوب متفاعل ومتطور .

Talcot Parsons : The social system, New Delhi (١)

Indian Edition 1972 p. 4481.

يشير أوجبرن من خلال نظريته عن التخلف الثقافي C. Lag إلى أن ثقافة المجتمع تشمل على عنصرين رئيسيين : العنصر الأول هو الجانب المادى أما الجانب الثانى فهو الجانب المعنوى ، ويقصد بالجانب المادى ما يسود المجتمع من مظاهر التكنولوجيا الحديثة ، بينما يشتمل الجانب المعنوى على كل ما يتعلق بالقيم والسنن الاجتماعية وغيرها ونقطة البداية في تفسير أوجبرن لحركة التغيير الاجتماعى هو أنه الجانب الأول - المادى - أسرع تغييرا من الجانب الآخر - المعنوى ، لأن التغيير الأول تغيير محسوس - ويتقبله الأفراد والجماعات في سهولة ويسر على عكس الجانب المعنوى الذى يتعلق بترات الجماعة وقيمها ولا شك في مدى صرامة هذا الجانب الأمر الذى يجعله ابطأ سرعة في تغييره عن الجانب المادى ومن هنا يصاب بالتخلف والجمود (١) .

وليس من شك في أن قسمة الثقافة إلى قسمين : مادى ولا مادى قد لا تقنع بعض علماء الاجتماع أمثال سوروكن ذلك لأن الثقافة تمثل كلا لا يتجزأ فضلا عن تفاعل الجانب المادى مع الجانب الروحى في بونقة المجتمع وتداخل كلا الجانبين وتأثير بعضهما في البعض الآخر يشير إلى دينامية المفهوم الثقافى بدلا من التجزئة الأمر الذى يمكن القول معه أن هناك تكاملا بين عناصر الثقافة ككل .

تلك هى نماذج من تراث الفكر السوسىولوجى المنسر لظاهرة التغيير الاجتماعى وهذه النظريات تتحد في قيامها بمحاولة دراسة التغيير من منظور سوسىولوجى وأن تباينت الآراء حول طبيعية التغيير والعوامل المختلفة المؤثرة في احداثه وفتأجه لكنها جميعا تشير إلى حقيقة التغيير الاجتماعى كظاهرة انسانية عامة قلما يخو منها مجتمع من المجتمعات وأن اتسم التغيير بالنسبية الزمانية والمكانية بحسب العوامل المعجلة بحوثه أو تلك التى تعوق مساره .

وبعد ان ناقشنا في ايجاز التفاصيل النظرى لحركة التغيير الاجتماعى يهنا ان نتناول الموضوع من خلال علاقته بمجموعة من التغييرات الاجتماعية التى

تسود المجتمع وفي نفس الوقت تزيد من وضوح الرؤيا عند القارىء حول هذا الموضوع مثل : التكنولوجيا والتنمية والمشكلات الاجتماعية . وسوف نناقشها في الفقرات التالية :

(ثانيا) دور التكنولوجيا في التغيير الاجتماعى :

حيث نتحدث عن دور العامل التكنولوجى في احداث التغيير الاجتماعى بصفة عامة ، فان المدخل الى ذلك ان نتساءل : ما هو الهدف من تأثير التكنولوجيا على أنماط الحياة الاجتماعية ؟ والاجابة على ذلك هو احداث تغير اجتماعى ؟ أجبنا لأن التغيير سمة من سمات المجتمعات المتطورة المتفاعلة مع الأحداث واذل تسألنا لماذا تتخلف مجتمعات بعينها عن ملاحقة ركب التطور العالمى ؟ قلنا لأن هناك رواسب ثقافية جامدة تعمل على ابقاء القديم على قدمه وتخشى التغيير .

ان هذه الاجابات الموجزة هي في الواقع رؤوس موضوعات هامة لاثر التغيير التكنولوجى على المجتمع ، وزيادة في الايضاح نقول اننا عرضنا عند الحديث عن التغيير الاجتماعى لمجموعة من عوامل هذا التغيير . وذكرنا أن من بين عوامل هذا التغيير بل وأسرعها تأثيرا في احداثه العامل المادى او التكنولوجى ذلك لأن من شأن هذا العامل استحداث وسائل آتية لها أثرها المموس على حياة الجماعة الانسانية وفي ذات الوقت لها فوائدها المحققة كسعادة الانسان وراحته اذ لا احد ينكر على الاطلاق كيف أن اختراع السيارة قد اختصر الطريق والزمن على الانسان بدلا من تكبده مشاق السفر ذهابا وايابا على اللوالب وسهلت له السيارة هذا العناء ومكنته من الوصول الى هدفه في سهولة ويسر وساعد ذلك على تبادل المنافع واحتكاك الأفراد بعضهم ببعض .

وإذا كانت تلك فوائد محققة من اختراع السيارة ، فما بالك باختراع الطائرة التى ساعدت على انتقال الانسان عبر القارات والمحيطات ناقلا أفكاره وعقائده مستهدفا زيادة المعرفة ، والتفاعل مع شعوب أخرى املا في التقدم . فضلا عن ذلك فان اختراع وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية ،

قد ساعد نشر المعارف والثقافات وتبادلت المجتمعات شتى ألوان المعرفة حتى بات المجتمع الدولي أسرة واحدة تربط أوصالها شبكة المواصلات الإعلامية المختلفة .

تلك أمثلة من كثير أسوقها للتقليل على أثر التغيير التكنولوجي الرهيب في بناء المجتمع ووظائفه ، وللتدليل أيضا على أن أثر هذا التغيير المادى أسرع بكثير من التغييرات المرتبطة بقيم الناس وتقاليدهم ، ذلك أن الإنسان دأب على الاهتمام بكل شىء جديد له أثره الحسى الملموس الذى يرى نتيجه واضحة أمامه وعادفة إلى سعادة الإنسان ، على عكس ما اذا جاء العلماء بنظرية جديدة في الفلسفات أو الأحيولوجيات ويطلب من الغير الايمان بانكار هذه النظرية لانها سوف تعود بالنفع على الانسان في هذه الحالة يثور جدل كثير حولها ، هل هي صالحة للتطبيق وما الضمان ، هل لها نتائج مؤكدة وملموسة وكيف ؟ هل هذا العالم صاحب النظرية الجديدة جدير باحترام رأيه وكيف ؟ وهلم جرا ، تساؤلات عديدة تثور قبل أن يطمئن الافراد والجماعات الى سلامة النظرية الجديدة وهذا ما يفسر لنا سر الصعوبة التى واجهت الأنبياء وأصحاب الرسالات في تبليغ رسالاتهم الى ذويهم ، ومن هنا يمكن القول بان التكنولوجيا عامل عام في الاسراع بالتغيير الاجتماعى وما يؤدي اليه هذا التغيير من نتائج وآثار .

وينبغى القول أن التكنولوجيا وان كانت ذات طابع مادى إلا أن لها انطباعها الاجتماعى وعلى سبيل المثال اذا كانت الصناعة ذات طبيعة مادية الا انها في ذات الوقت ظاهرة اجتماعية ، فالصفة التكنولوجية ليست غاية في حد ذاتها انما هي وسيلة لغايات اجتماعية عامة وملزمة ، وأن للعامل التكنولوجى وظيفة اجتماعية ، اذ حتى لو استبعدنا العمليات الاجتماعية المصاحبة للتصنيع الآلى ، لوجدنا أن ما يتخلل هذه العمليات الصناعية الفنية من شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المصنع أو حتى داخل أصغر وحدة انتاجية لوجدنا ان هذه العلاقات التى تسود بين المنتج والمشتري أو التى تسود بين أفراد المجتمع الصناعى بصفة عامة تعبر عن مدى التفاعل الجمعى بين أفراد المجتمع وجماعته . وهذا دليل على أن العمليات الصناعية في حد ذاتها انما تعبر عن مرحلة من مراحل الدور الاجتماعى للفرد والجماعة داخل المجتمع ، اذ بعد عملية التصنيع ، رأقول التصنيع هنا كمجال للتطبيق الفنى

أو التكنولوجيا أقول انه بعد انتهاء الدور الآلى للعمل الصناعى لوحظ أن هناك من العمليات الأخرى التى تعبر عن مدى اجتماعية العمل الصناعى لأنه ظهر فى مجتمع وينتشر ويسود فى ذات المجتمع أو فى مجتمعات أخرى ، كذلك فان له نتائج وآثاره على البناء الاجتماعى . أقصد من وراء هذا التحليل توضيح العلاقة الوظيفية التى تربط العامل التكنولوجى كأحد العوامل الأساسية المعجلة بحدوث التغيير الاجتماعى وبين الانطباعات الاجتماعية لهذا الجانب المادى .

وتجدر الإشارة الى ان ما يصيب المجتمع من تغيير اجتماعى بتأثير العامل التكنولوجى وما يتركه من آثار على بناء المجتمع ووظائفه وشبكة العلاقات الاجتماعية فيه ، يؤثر بلا جدال على بناء الأسرة ووظيفتها ، وقد سبق لنا القول عند الحديث عن النظام العائلى كيف تطور هذا النظام وكيف انتقلت أغلب وظائف الأسرة الى المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، فضلا عما أسفر من تفاعل أعضاء الأسرة ككل مع التغيرات التكنولوجية السائدة فى المجتمع ، الأمر الذى أدى الى حدوث التغيير داخل بناء الأسرة ذاتها باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية المكونة للبناء الاجتماعى الشامل .

وقد صاحب هذا التغيير الاجتماعى الناجم عن التكنولوجيا آثار ونتائج لها بصماتها الواضحة على الأسرة والمجتمع ، فضلا عن ظهور مشكلات مستحدثة صاحبت هذا التغيير سوف نفضل فيها القول فى موضع لاحق .

خلاصة القول فى هذا المجال : ان هناك علاقة وظيفية بين حدوث التغيير الاجتماعى وبين التكنولوجيا كعامل جوهري فى ظهور هذا التغيير نتيجة لطبيعة التغيرات التكنولوجية التى أذهلت الانسان المعاصر وكان لاستثماره لنتائج هذه التغيرات آثار واضحة فى حياته الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، وان لم تخف هذه الآثار المنضلة لعالم التكنولوجيا ظهور بعض المشكلات المصاحبة لعملية التغيير ذاتها والتى تركت أثرا خطيرا فى بناء المجتمع وعلاقات الأفراد والجماعات فيه ، فضلا عن مشكلات سوء التنظيم الاجتماعى التى ظهرت مع بداية التغيير ، وتبذل المحاولات فى إعادة التكيف مرة أخرى . ومع كل هذا فان التغيير الاجتماعى المصاحب للتكنولوجيا يحمل فى طياته وسائل علاج المشكلات الناجمة عنه .

ثالثا - التنمية والتغير الاجتماعى :

هناك علاقة عضوية بين مفهوم التنمية وحركة التغير الاجتماعى فى المجتمعات المختلفة . ذلك أن المجتمع الذى يبغى الوصول الى التقدم المادى والانسانى ، لا ينبغى أن يقف جامدا عن ملاحقة ركب التطور العالمى ، ومن هنا برزت أهمية التخطيط للتنمية الشاملة كأداة لاعادة صياغة شكل الحياة الاجتماعية بما يشجع على حدوث التقدم المادى والانسانى وان التقاعس فى هذا الطريق يحدث بالتالى نتائج عكسية ويصيب المجتمع بالتخلف .

التنمية اذن وسيلة أو أداة من أجل التغير الشامل لكافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها أملا فى الوصول الى التقدم . ونحن التنمية تقابلها معوقات كثيرة خاصة فى العالم النامى وتلك المعوقات فى نفس الوقت لا تساعد على التعجيل بالتغير لان هناك تيزما بين التنمية والتغير ، هذه المعوقات ذات طبيعة مادية وانسانية وادارية فالمجتمع النامى بعمامة لم يستثمر بعد كافة مقومات موارده الطبيعية نظرا لتخلف الجانب الأول أو القصور عن الاستثمار الأمثل لتلك الموارد نظرا لضعف الامكانيات الفنية وغيرها ، وعضلا عن ذلك فانه من أكثر معوقات العمل التتموى فى المجتمع النامى هو الجانب البشرى الذى عر الغاية والوسيلة ، فهو الغاية من كافة الاستثمارات المادية ، التى تعمل على اسعاده وراحته ، وفى نفس الوقت هو الوسيلة لخلق الاستثمار الناجح للامكانيات المتاحة ، وتأتى المشكاة من عدم قدرة هذا الانسان على استثمار قدراته وميوله بما يضمن ناتجا فعلا ومثمرا فى التنمية ، وقد يكون وراء هذا العجز عوامل كثيرة تتعلق بانتشار ظاهرة الأمية وهى من ألد أعداء حركة التخطيط والتنمية فى مجتمع ما ، لان الانسان الجاهل قلما يعمل تفكيره ويستثمر قدراته فى تسخير موارده لخدمته فضلا عن بساطة تطلعاته المستقبلية . وقد يكون وراء هذا الانسان الأمى فيما وتقاليد اجتماعية تقف حجر عثرة فى سبيل تقدمه وتطوير نمط شخصيته ، اذ المعروف انه فى المجتمعات التقليدية والمعزلة تمثل العادات والتقاليد عقبة اساسية فى سبيل حركة التنمية والتغير الاجتماعى حفاظا على ما هو قديم نظرا لعدم الثقة فى كل ما هو جديد ، فضلا عما يجره التغير من خلخلة الكائنات الاجتماعية واعادة توزيع الأوار والمسئوليات فى المجتمع من جديد وهو أمر غير مستحب خاصة من كبار السن والشيوخ فى المجتمع ، وفى هذه

للحالة قد يحدث ما يسمى بصراع الأجيال الثقافية ، حيث يرغب الشباب في التغيير . بينما يرفضه الكبار وهنا يقف الطرفان في صراع مستمر ، ومهما كانت نتيجة هذا الصراع ، فان حالة من الكمون والرفض تنتاب الجانب المهزوم في عملية التغيير ، يمثل هذا الجانب عنصر المقاومة المستمرة لكافة جوانب خطة التنمية .

وفضلا عما تقدم فان المرأة وهي تمثل نصف التعداد الديمجرافى للمجتمع تقريبا ليس لها دور مؤثر وفعال في حركة التنمية والتغيير الشامل وهي تمثل قطاع متخلف في المجتمع بسبب انتشار ظاهرة الأمية في هذا القطاع بنسبة عالية خصوصا في المجتمع الريفي فضلا عن تخلف مكانة المرأة ودورها ومسئوليتها بعامة عن مكانة ودور الرجل في المجتمع . كل هذا نتيجة للنظرة التقليدية للمرأة باعتبارها جنسا ضعيفا خلق للبيت وتربية الأبناء فحسب .

ان تخلف الجانب الانسانى في مجال العمل التنموى في المجتمع النامى يمثل في حقيقة الأمور مشكلة ثقافية عامة فلما تساعد على التنمية والتغيير ، بل على العكس تبرز نرتنا اجتماعيا متخلفا ضاربا أظنايه في النفس البشرية وفي كافة مقومات السلوك الفردى والجماعى والذى يظهر في كانه مظاهر العمل التنموى ، فالانسان قلما يساعد على تنمية مخدراته باعتبار ان هذه المخدرات هي حجر الزاوية في أى عمل تنموى وانسان المجتمع النامى قلما ينظر الى مشكلة التضخم السكانى بعين الاعتبار فيحاول صبط النسل لاحداث التوازن السكانى المطلوب لدفع عجلة التنمية فضلا عن ان ذلك الانسان تنقصه الخبرة والمهارة والتدريب اللازم في مجال عمله ، علاوة على تقاعسه عن الاسهام بشكل جاد في مشروعات الخدمة العامة التطورية الى آخر ذلك من مظاهر السلوك المعوق لحركة التنمية والتغيير .

والى جانب هذه المشكلات ذات الطبيعة المادية والانسانية ، فهناك مشكلات ادارية تعوق التنمية خاصة فيما يتعلق بتوفر الأجهزة المصرفية اللازمة أو التكمال بين كافة الأجهزة المشتركة في تنفيذ خطة التنمية ومتابعتها . كل هذه الأمور انما تتعلق بطبيعة النظام الادارى المسير لعملية التنمية .

وينبغى القول بان تلك المشكلات المنوه عنها والتي لا تساعد على دفع

عجلة التنمية في الطرق الصحيح ، هي في نفس الوقت معوقات جبرية لحركة التغيير في المجتمع باعتبار أن التنمية أداة أو وسيلة لآحداث التغيير المشود .

وعلى الرغم من معاناة المجتمعات النامية من هذه المشكلات وغيرها إلا أننا نلمس بوضوح جهودا مكثفة من أجل التخلص من هذه المعوقات حتى لا تتخلف المجتمعات عن ركب التطور العالمي في كافة المجالات وحتى تتمكن من أحداث تغيير ولو نسبيا في كافة مظاهر الحياة .

ومن بين الجهود المبدولة من أجل توفير المناخ المناسب لتحقيق خطة التنمية الشاملة وتغيير نمط الحياة التقليدية ، ما تلجا إليه كافة المؤسسات الرسمية والشعبية من نشر الوعي التخطيطي عند الفرد والجماعة قولا وفعلا عن طريق وسائل الاتصال المختلفة والنشرات الاعلامية الهادفة والاسهام بالجهد التطوعي في كافة مشروعات الخدمة العامة - بمعنى آخر : تحاول الحكومات أن تعنى بالجانب الانساني لخطة التنمية وتهتم بنوعيه الانسان في المجتمع لأنه هو انفاية وهو الوسيلة كما سبق القول من كافة مشروعات الخطة .

وفي ذات الوقت يهتم المسئولون بالتنمية الادارية وهي عصب الجانب التنموي نكم تقاسى مشروعات التنمية من خلل وقصور طالما كانت الادارة ليست على مستوى المسئولية الادارية اللازمة .

وفضلا عن ذلك فقد اتجهت المجتمعات الى تخطيط القوى العاملة في المجتمع بحيث لا يكون هناك قوى عاملة ، أو تخصصات لا جدوى من ورائها ومن شأن هذا التخطيط للمعالة أن يرفع مستوى الأداء عند العاملين فضلا عن التخصص وتقسيم العمل بين جميع العاملين في المشروعات المختلفة مما يؤدي الى نتائج أفضل .

وبالاضافة الى كل ذلك تحاول المجتمعات النامية أن تقضى عن مشكلة الأمية السائدة بالجهود الرسمية والتطوعية وبالحوافز المختلفة ، وتعمل على التخفيف من المشكلة السكانية بالتوعية اللازمة والدعم الفني والطبي الهادف، فضلا عن ممارسة كافة أساليب التدريب التي ترفع مستوى الأداء عند

العاملين ونهض بكفاءاتهم الحالية وتشجع فيهم روح التعاون والاسهام الفعال من المؤسسات التعاونية في مشروعاتها الهادفة ، فضلا عن التعامل بحرية مع كافة الابعاد الادخارية لمعالجة مشكلة التمويل لمشروعات الخطة . مع الاهتمام بانشاء الاجهزة المتخصصة في مجالات التخطيط والتنمية مع احداث التكامل المطلوب بينها ومساعدتها على أداء العمل بأسلوب فعال ومثمر .

تلك هي بعض الخطوات التي نتخذها المجتمعات النامية من أجل وضع العمل التنموي في اطاره الصحيح ، ويمكن ان نخلص الى القول بان التنمية الشاملة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية انما هي تنمية متكاملة في الاهداف والوسائل ، وهي مفالزمة فلزما عضويا مع حركة التغيير الشامل في المجتمع ، فمع حدوث التنمية بأسلوب ناجح يحدث التغيير في كافة قطاعات المجتمع ، وبالتالي يؤدي الى تغيير نمط الحياة الى مستوى أفضل ، وبذلك يمكن القول أن التغيير انما يتجه وجهة بنائية تقدمية في مساره .

رابعا - التغيير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية :

سبق أوضحنا أن هناك ظواهر بانولوجية تصاحب حدوث التغيير الاجتماعي خاصة مع بداية حركة التغيير ما لم يحدث فيما بعد التكيف المطلوب مع الأوضاع المتغيرة .

ومن بين المشكلات المصاحبة للتغيير الاجتماعي ، حدوث تفكك في العلاقات الاجتماعية بعد أن كانت في حالة متوازنة قبل حدوث التغيير ، خصوصا بعد أن كان التيار الاجتماعي في حالة ثبات وترباط ادوار ووظائف أعضاء الجماعة وفقا لنمط من المعايير والقيم المتفق عليها ولكن مع حدوث التغيير في بناء المجتمع ووظائفه نتيجة عوامل كثيرة مثل الهجرة الداخلية أو الخارجية أو الرغبة في التغيير بعد أن سئم الناس الحياة الرتيبة التي يعيشونها وغير ذلك من عوامل ، في هذه الحالة تتعقد شبكة العلاقات الاجتماعية السائدة خاصة مع اتساع الكيان المورنولوجي للمجتمع المتغير مع حدوث زيادة سكانية . وظهور تطلعات جديدة لا تفي بها الإمكانيات المتاحة . كل هذا يؤدي الى حدوث تغيير في نمط العلاقات الاجتماعية السائدة حتى يمكن ان يواكب السلوك الفردي والجماعي الوضعية المستحدثة .

حتى انه مع تسليمتنا بوجود مجتمعات محلية منعزلة اجتماعيا سوا.
كان ذلك في مجتمع القرية أو المجتمعات الهامشية في الحضر الأمر الذي يدعونا
الى القول بانتظام وثبات الأوار والمكانات الا أن هذا الوضع لابد ان تصيبه
موجة التغير الزاحفة اليه من مجتمع المدينة وبفعل وسائل المواصلات أو
الاتصالات المتنوعة مثل الاذاعة والتلفزيون والصحف وغيرها ، ومن هنا
تظهر الرغبة من جانب الشباب الى ضرورة مواكبة وضعية المجتمع القرمى في
التغير الشامل وهنا يحدث تخلخل في أدوار ومراكز الأفراد في المجتمع التغير
لعدم وجود انماط محددة للأدوار الاجتماعية .

وفضلا عن ذلك قد يصيب المجتمع التغير تفكك في بنائه ووظائفه نظرا
لاختلاف مد التغير في أجزاء البناء ، فنتخذ موقفا معينا سريعا في تغييره في
حين يتخلف موقع آخر عن التغير بنفس النسبة ومن هنا يكون التخلف
الاجتماعى في قطاعات المجتمع وبنائه .

يصاحب التغير الاجتماعى أيضا تغييرا في الأنساق التكنولوجية بصورة
سريعة وملحة ، وفي ذات الوقت يصيب التغير كافة الأنساق القيمة في المجتمع
ولكن بصورة بطيئة عن التغيرات التكنولوجية . وهنا يحدث ما ينادى به
أوجبرن من تخلف ثقافى نتيجة التغير الغير المتوازى في أجزاء الثقافة اذا سلمنا
بقسمة الثقافة الى جزء مادى وآخر معنوى ، وينبغى القول أن حدوث التغير
في الأنساق القيمة قد يسببه كما سبق القول صراع بين الأجيال الثقافية
ناتج عن عدم ثبات هذه الأجيال على ما هو ضرورى للتغير فضلا عن رغب
كبار السن بصفة عامة للتغيرات الجديدة لأنهما تمس مكانتهم الاجتماعية
ودورهم في تكوين علاقات محافظة ، مأمونة العواقب .

ومن المشكلات المصاحبة للتغير الاجتماعى ما يقال عن سوء التكيف مع
الأوضاع المستحدثة وتبدو مشكلة سوء التكيف هذه حينما بهاجر بعض
الريبيين مثلا الى المدينة لأسباب تتعلق بالعمل أو الدراسة أو السكنى أو غير
ذلك . وفي هذه الحالة يواجه المهاجر انماطا من السلوك الفردى والجماعى لم
يالفها من قبل في قريته ، وفي هذه الحالة يكون أمام أحد أمرين : أما أنه
يستسيغ التغير القائم في مجتمع الحضر ، ان يكيف سلوكه واقعه مع
الوضعية الجديدة وفي هذه الحالة يتخلى عما ورثه عن الآباء والأجداد من قيم

وتراث اجتماعى وثقافى يمثل ماضيه . واما أنه يبقى على السلوك القديم الذى هاجر به وفي هذه الحالة لابد أن يراجعه مشكلات سوء التكية، وقد يلجأ فى نهاية المطاف الى العودة الى قريته مرة أخرى .

تلك هى مشكلات اجتماعية تبدو واضحة على مستوى المنضم ككل ، لكن يصاحب التغيير الاجتماعى مشكلات مميزة أصابت الأسرة فى بنائها ووظائفها وقد سبقت الإشارة السريعة لهذه المشكلات ونود أن نفضل القول نيبا فى هذا المقام . فالأسرة كوحدة تؤثر وتتأثر بما يسود المجتمع من تغيرات فى كافة الاتجاهات ، وان أبرز المشكلات المصاحبة للتغيير الاجتماعى هى مشكلات الدور فى الأسرة المتغيرة ، اذ حدث بعد أن انفصلت المرأة اقتصاديا عن الزوج وأصبحت عضوا مساهما فى انعاش الأسرة اقتصاديا أصبحت فى حاجة الى سلطة اتخاذ القرار داخل الأسرة جنبا الى جنب مع الزوج ومن هنا بدأ صراع الأدوار بين الزوجين وقد يؤدي فى نهاية الامر الى حدوث مشكلات مضاعفة تقضى الى الطلاق والتفكك الأسرى (١) .

ويشير الن Allen الى تأثير التكنولوجيا كأحد عوامل التغيير الاجتماعى على الأسرة فيرى أن الأسرة وان كانت ثمرة للعلاقات البيولوجية والنفسية ، الا أنها فى نهاية الامر تمثل الوحدة الاجتماعية التى تكون منها المجتمع ، وقد تأثرت الأسرة الأوربية بالثورة الصناعية وكانت لها نتائج خطيرة على بنائها ووظائف الافراد فيها خاصة بعد ان عملت المرأة وتمثل هذه الثورة تأثيرا خارجيا أدى الى حدوث تغيير اجتماعى على نطاق الأسرة مع ما تحمله الأسرة فى اذ داخل من عوامل التغيير فى العلاقات الأسرية سواء بين الزوجين أو بينهم وبين الأبناء . كما يشير أن أيضا الى العوامل البيولوجية فى احدث التغيير داخل الأسرة خصوصا فيما يتعلق بتوزيع الأورار داخلها بحسب الجنس فالمرأة لها دور محدد ولذكور دور مميز يرى أن حركة التغيير للشامل قد أصاب هذه القسمة للأدوار ، بل أن الأسرة تأثرت بالعوامل الأبيولوجية للتغيير خاصة فيما يتعلق بالجانب العقيدى لها فالأسرة فى

(١) د . عاطف غيث : التغيير الاجتماعى والتخطيط . دار المعارف ١٩٦٦

النظام الرأسمالي لها تطلعات معينة تختلف عن زميلتها في المعسكر الاشتراكي كما تختلف أيضا في أسلوب التربية وفقا لهذا المبدأ .

ومن بين العوامل التي دفعت الى تغيير الأسرة أيضا وسائل الاختراع الحديثة وانتشار التحضر والرغبة في تنظيم النسل الى غير ذلك من الأمور التي أصبحت من سمات الأسرة المعاصرة .

وبهذا يمكن القول أن التغيير الاجتماعي قد يكون حركة الى الامم فيحصل على أحداث التقدم المنشود . أو على العكس قد يكون حركة الى الخلف فيؤدي الى التخلف والانحلال . لكن المشكلات المصاحبة لهذا التغيير ليست بالضرورة تؤدي الى تخلف المجتمع وإنما كما سبق القول تحمل موجات التغيير بدور العلاج سواء في الجانب القيمي او المادى . وإذا ما عجز المجتمع عن علاج سوء التنظيم الناشئ عن التغيير في هذه الحالة يكون التخلف نتيجة حتمية .

خلاصة القول أن دراسة التغيير الاجتماعي مبحث أساسى ودراسات السوسيوولوجيه ويفيد في الوقوف على اتجاه المجتمع المتغير نحو التقدم أو على العكس الى الانحدار والتخلف وقد سبق لنا توضيح كافة نظريات البسرة للتغيير ، فضلا عن توضيح الصلة الوثيقة التي تربطه ببعض المتغيرات ذات الأهمية في أحداثه أو أعاقته حيث تحدثنا عن دور التكنولوجيا في التغيير . والتلازم بين التغيير والتنمية فضلا عن إبراز بعض المشكلات المصاحبة لحركة التغيير الاجتماعي بعامة .

رابعا - التنظيم الاجتماعي :

التنظيم الاجتماعي من المباحث الهامة في دراسات علم الاجتماع نظرا لأهميته وخطورة النور الذى يؤديه في تلبية حاجات الأفراد والجماعات وتنظيمها بما يؤدي الى استقرار الحياة الاجتماعية بصفة عامة .

وسوف نقوم بدراسة مفهوم التنظيم الاجتماعي من خلال العناصر

التالية :

أولا : مفهوم التنظيم الاجتماعي وأهميته .

ثانيا : دعائم قيام التنظيم الاجتماعي .

ونتناول دراسة العناصر السابقة ونفصل فيها القول فيما يلى :

أولا : مفهوم التنظيم الاجتماعي وأهميته :

من البديهي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده ، ذلك لأنه يعتمد على مجتمعه في تلبية حاجاته الضرورية واكتمالية على حد سواء ، ولئن يتمكن الإنسان من تحقيق ذلك عشوائيا ، بل لايد من تنظيم اجتماعي يساعده في تحقيق ذلك . أن كل فرد منا يريد أن يشعر بالرضا ، وهو بالضرورة يخلق نوعا من العلاقات الاجتماعية بينه وبين غيره ، بل تطور تلك العلاقات بحسب ظروف وملازمات العصر الذي يعيش فيه ، انه لن يتمكن من تحقيق ذلك الا من خلال تنظيم اجتماعي يحتوى كل جهوده من أجل تأكيد اجتماعيته كإنسان ، ولكن ماذا نعنى حين نقول ان الإنسان حيوان اجتماعي ، اننا نعنى بذلك انه في حاجة الى تكوين أسرة لترعاه وتنشئه صغيرا وتعلمه المعارف الأساسية وتعرفه لغة الحماية ، كذلك فانه أيضا في حاجة الى المدرسة لتربيته وتنشئه ، كما انه في حاجة الى سياسة لحمايته ، فضلا عن حاجته الى تنظيم اقتصادي كي يمدّه بمستلزمات العيش ، وهو أيضا في حاجة الى الحكومة لكي تنسق له كل هذه الحاجات ، ومن هنا فان التنظيم الاجتماعي يساعد الإنسان من أجل العيش في جماعة ويكسبه الخبرة في أي فترة تاريخية .

ان دراسة اساسيات التنظيم وأسباب التنظيم أمر مفيد من أجل توفير حياة اجتماعية أكثر استقرارا ، اننا لا نعرف أهمية التنظيم الاجتماعي الا اذا أدركنا كم يحوط بنا من اخطار تنجم عن سوء التنظيم ، لقد كان الناس قديما يعملون من خلال تنظيم بسيط حيث لم يكن الأمر يؤدي بالضرورة الى سوء التنظيم نظرا لقلة عدد السكان وفتنذ الأمر الذي جعلهم يعتمدون على بعضهم دائما في اطار علاقات اجتماعية اولية بسيطة . استطاع الإنسان القديم ان يعيش في اطار مجتمعات صغيرة نسبيا ، وهو الآن يعرف كيف يتعامل داخل اطار مجتمعات صناعية معقدة ، وكان الإنسان القديم يخشى للحيوانات والعواصف والنار والأمراض لكن اختلف الأمر الآن حيث اصبح الإنسان المعاصر ينلمس احتياطات لازمة تجاه كل هذه الاخطار ، هذه كلها حالات تعبر عن أنماط للسلوك الانساني في أحوج ما يكون الى

التنظيم خاصة عند الانسان المعاصر الذى هو فى أشد الحاجة الى تنمية مواهبه لمواجهة كافة الاخطار المحيطة والمتمثلة فى مظاهر سوء التنظيم الاجتماعى ولم تكن الوسيلة فى الماضى بكافية لاعادة التنظيم الاجتماعى مثلما هو الحال الآن بسبب جهله بأساليب التنظيم المعاصر فضلا عن بساطة التركيب المورفولوجى للمجتمع البدائى ، لقد كانت حركات الاصلاح ووسائل التشريع والثورات كلها أمور عملت على اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية الى حالة سوية بعد مظاهر من الاضطراب والفوضى (1) .

يجوز إذن من تتبع مظاهر التنظيم ودوافعه قديما كان أو حديثا الحاجة الماسة اليه ، وانضرورة الملحة للاستعانة بكافة الأجهزة التنظيمية خاصة فى الوقت المعاصر من أجل أن ينتظم الانسان ككائن اجتماعى فى اطار تنظيم اجتماعى يشبع رغباته وميوله وحاجاته . وليس بخاف أنه لكى يستفيد أمر الانسان ويؤدى دوره من خلال التنظيم الاجتماعى السائد فى المجتمع عليه فى هذه الحالة أن يتكيف مع مستحدثات العصر وأساليب التنظيم المتجددة ، نعم انه يحيا وفقا لاطار من السنن الاجتماعية المتمثلة فى العادات والتقاليد والاعراف ، لكنه لكى يحيا حياة اجتماعية سوية عليه أن يطوع عاداته رغم صرامتها بحيث تواكب الوضعية التنظيمية المناسبة أملا فى تحقيق هدفه وعلاج كافة مشكلاته التى يعجز عن حلها منفردا .

التنظيم الاجتماعى إذن ، وكما يشير أوجبرن قاعدة صلبه يتأسس عليها بناء المجتمع انه يشتمل على الجماعات التى تنتظم سلوكها بنائيا ووظيفيا ، وإذا قلنا بنائيا ، فمعنى ذلك أن البناء ما وجد الا ليؤدى وظيفة ويتعلق ذلك بما يسمى بالأدوار الاجتماعية ، وما يترتب عليها من ظهور مكانات اجتماعية وتنظيمات نمطية للأفراد والجماعات .

وتبدو وظيفة التنظيم الاجتماعى من خلال مظهرين ، الأول هو تداخل الأجزاء وتفاعلها والمظهر الثانى هو مظهر التنظيم الاجتماعى الناتج من التفاعل السابق فى صورة كلية ذات هدف خارج عن ارادات الأفراد كفراد .

Robert E.L. Faris : Social Disorganization, the R (1)
land press comp. Second Edition, New York 1955 p. 7

ان اختيار مدى كفاية التنظيم هو نجاحه في اكتساب غايات مجمعة ، وتعتمد الكفاية هنا على تنظيم الأجزاء أو تبدو من خلال الدور ووظيفة النسق الاجتماعي ، وحين يتوفر الانسجام بين الأجزاء فان درجة الكفاية تكون أعظم فيما اذا كانت تلك الأجزاء غير متوازية ، ويتطلب النسق الاجتماعي ضرورة التنظيم بين الوحدات المتفاعلة معه ، وربما يضطرب هذا التوازن اذا أصابه التغير الاجتماعي والذي ربما بالتالي يعيد التنظيم حالة من الإصلاح والحيوية .

وان النمط الخاص بالتنظيم الاجتماعي هو النظام الاجتماعي بتوسيع معنيه مشتتلا على الادوار متضمنا الوظائف الأساسية الاقتصادية منها أو السياسية والعائلية والدينية وهي أوسع النظم انتشارا لانها ضرورة لأي مجتمع (١) .

معنى ذلك أن التنظيم الاجتماعي مطلب ضروري لأي مجتمع من المجتمعات ولكن التنظيم بالفهم السوسولوجي انما ينشأ نتيجة النقاء رغبات وحاجات الأفراد والجماعات نحو ضرورة تنظيم أنفسهم ويمثل عنصر التفاعل بينهم فعلا اراديا لضمان استمرار التنظيم في أداء دوره لتحقيق الغرض المنوط به ، وليس من شك في هذه الحالة أن التوازن في العلاقات الاجتماعية بين أعضاء التنظيم يعطى دفعة قوية نحو ترسيخ قواعده ومعنى هذا أن قيام التنظيم الاجتماعي بوظائفه انما يرتبط بمقومات النسق وأهدافه وعوامل التغيير ، بحيث أن أي تغيير في البناء الاجتماعي سوف يتأثر به التنظيم القائم وفي هذه الحال لا نستبعد حدوث مظاهر سوء التنظيم الى أن ينم التكيف مع الأوضاع الجديدة . ويرتبط التنظيم الاجتماعي في المجتمع بالنظام المسائد اقتصاديا أو عائليا . . . الخ باعتبار أن النظام يمثل القواعد والآسس التي يسير الناس حياتهم وتنظيماتهم وفقا لها .

ان التنظيم الاجتماعي بالمفهوم السابق له عدة خصائص منها : انه يعتمد على توفر العنصر البشري الذي يضمه التنظيم ، ذلك أن الانسان هو المحرك الأساسي لأي تنظيم اجتماعي ، وإلى جانب العنصر البشري يلزم

أن يكون هناك أدوار معينة للانسان ، والا فمما ادعى الى تنظيم يكون
أعضاؤه في حالة سكون أو ثبات وقد يكون التنظيم الاجتماعي عبارة عن
جماعات معينة تتباين في درجة اتساعها وأنشطتها وخصائصها وتأثيرها
وعلى هذا الأساس فان درجة التفاعل التي تحدث داخل التنظيم تتغير وفقاً
لأسس متباينة تملئها ظروف الجماعة .

ولقد سبق أن أوضحنا أن التنظيم قد يعتريه التغيير ، ويجب أن نسير
في هذه الحالة أن هذا التغيير إنما يصيب الأجزاء المتفاعلة داخله التي قد
يتسبب عنها ظهور نوع من المشكلات نتيجة لدرجة التفاعل وشدةه ، وعلى
هذا فإنه يمكن القول أن التفاعل الرشيدي والايجابي بين أجزاء التنظيم
وأعضائه يحقق درجة من التكامل فيما بينهم الأمر الذي يساعد على الاستفادة
من كافة المعطيات الاجتماعية التكنولوجية التي تسود المجتمع ، وبالتالي
تعمل على تطوير التنظيم الى أفضل وتغير من أنماط الأنشطة المتفاعلة بحيث
تخلق بينها درجة من الانسجام فلا يكون هناك محلاً للصراع الذي يحدد
التنظيم ويحطمه .

ان عملية التغيير المنتظم لعناصر التنظيم والتجديد المستمر لاعداده
بحسب التغيرات السائدة في المجتمع عملية معقدة وأحياناً صعبة في أن تميز
السبب عن النتيجة . وقد ترتبط درجة التغيير في التنظيم بما يسود المجتمع
من عوامل تكنولوجية وزيادة سكانية ، وفي هذه الحالة لا يجب الاعتماد في ان
هذه التغيرات إنما تمر في سلام ، بل ربما يقاومها أعضاء التنظيم الاجتماعي
ومن يستطيع التكيف معها يكون قد استطاع أن يحدث تكاملاً بين
أعضائها (١) .

وجدير بالذكر أن حركة التغيير في أهداف التنظيم الاجتماعي أو في
عملياته من أجل أداء دوره كاملاً أمر تملئها ظروف المجتمع والتغيرات السائدة
فيه لأن التنظيم إنما ظهر من خلال المجتمع ويعيش في إطاره فكيف يسلم
مما يصيب المجتمع ذاته من تغيرات أيا كانت دوافعها أو العوامل المشجعة على

John F. Cuber : Sociology, Appleton-century Crofts,
Inc. New York, 1947 p. 505.

حدوثها ، وبالتالي فلا غرابة من ظهور بؤابر الصراع أو التكيف معها من جانب الأعضاء .

ويشير كوبر Cuber ان أسس التنظيم الاجتماعي من خلال تفسيره لكيفية خلق التنظيم والعوامل المؤثرة في تدعيمه ، فسيري أن هناك بطبيعة الحال تداخلا مستمرا فيما بين الأفراد والجماعات من أجل تنظيم أنفسهم لاسباع حاجاتهم . هذا في الوقت الذي يسود فيه التخصص وتقسيم العمل وهو سمة من سمات العصر الحديث ، لكن هذا التخصص كان من بين دواعي ظهور التنظيمات الاجتماعية لتنسيق الجهود وتفاعل الأنشطة بين الأفراد والجماعات ، وباختصار فإن التنظيم الاجتماعي سوف يكتسب تدعيما وتنسيطا من جانب الأعضاء وذلك من خلال أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي تلقاه الفرد منذ نعومة أظفاره في الأسرة ولهذا فإن الأفراد يتقبلون الدخول في تنظيمات اجتماعية في بساطة وفاعلية .

ان النقطة الجديرة بالمناقشات في فهم كوبر للتنظيم الاجتماعي هي تفسيره لأسس التنظيم في اطار مبدا تقسيم العمل والتخصص الذي يسود عالم اليزم واعتباره هذا المبدأ دافعا لأعضاء التنظيم الاجتماعي للتفاعل سويا بل حتى مع أعضاء تنظيمات اجتماعية أخرى من أجل تحقيق هدف التنظيم وإشباع حاجات أعضائه معنى هذا أن مبدا التخصص أو تقسيم العمل لا يمنع بحال من قيام تنظيمات اجتماعية لها أهداف اجتماعية محددة وواضحة ، بل على العكس فإن من شأن تخصص أعضاء تنظيم معين اقتصادي كان أو ترفيهي أو ... أن يخلق درجة من التفاعل المنظم والهادف مع أعضاء التنظيمات الأخرى حرصا على استمرار تنظيم حياة الفرد والجماعة بما لا يهدد بناء المجتمع بل يعمل على تدعيمه واستقراره .

وينبغي القول ان التنظيم الاجتماعي قد درس في اطار اتجاهات اجتماعية متباينة من بينها تفسير النظريات الاجتماعية التطبيقية لأسس التنظيم ، فلقد كانت النظرية الوضعية تعبر عن درجة التكامل بين المثالية والبرنامج الإيجابي للإصلاح الاجتماعي ولقد اهتمت بمجال التطبيق لأنه الحل العمل لكافة المشكلات الاجتماعية الناتجة عن سوء التنظيم الاجتماعي في المجتمع ، وعن طريق تطبيق فلسفة التنظيم في اطار الواقع الاجتماعي يمكن

أن يطور البرنامج التنفيذي سبل الإصلاح في المجتمع . كما ظهرت النظرية المثالية لتفسير التنظيم الاجتماعي في الغرب استجابة لرغبة مبيتة من جانب الارستقراط وحرصهم على تمكك الاراضى كوسيلة لفرض تنظيمات معينة تتفق والوضعية الملائمة لحالة العصر .

ولقد تطورت نظرية التنظيم بعد كونت وسبنسر وأتباعهم وأخذت شكل المقارنة بين النظم للابقاء على الصالح منها الذى يتفق واردة الفرد والجماعة .

وفوق ذلك فلتقد ظهرت نظرية التنظيم الاجتماعي للصراع كضيق لمبادئ، وأسس النظرية الوضعية واستجابة لاهدافها ومراميها .

كما نادت النظرية العضوية بأهمية التواصل بين الافراد والجماعات التى تتباين اتجاهاتهم من أجل أحداث التداخل اللازم بينهم لينم التفاعل المثمر ابقاء على أوضاع تنظيمية هادفة (١) .

وتشير تلك الاتجاهات المتباينة الى أهمية دراسة التنظيم الاجتماعي ودعائمه وفلسفاته وفقا للاطار المجتمعي الذى يوجد فيه التنظيم ، كما انه ليس بخاف مقدار ما تفرضه المؤثرات الاجتماعية من أساليب مختلفة نرجه دراسة التنظيم وفقا لحاجة المجتمع الى تنظيم اجتماعي معين ، ولعل هذه الاتجاهات النظرية تشير في ذات الوقت الى حاجة المجتمع المعاصر الى دمج التنظيمات الضرورية نظرا لتعدد شبكة العلاقات الاجتماعية وحاجة الفرد والجماعة الى اطار معين ينتمون اليه في مجتمع يتغير بين لحظة وأخرى فكان التنظيم في هذه الحالة يشبع رغبة داخلية عند الافراد والجماعات نحو الانماء فضلا عن أهميته في تلبية حاجاتهم ومتطلباتهم الضرورية ومن هذا المنطلق تكون أهمية التنظيم وفلسفته بل وضرورته للمجتمع ذلك لان الاطار التنظيمي يعبر في نفس الوقت عن مقدار التقدم الذى احرزته المجتمع على مختلف المجالات .

Don Martindale : Institutions, organ-izations and (١)

Mass society, Howgton Mifflin comp. Boston U.S.A.

1966.

ثانيا : دعائم قيام التنظيم الاجتماعي :

أوضحنا في الفقرة السابقة أهمية قيام التنظيم الاجتماعي ليؤدي بدوره في الحفاظ على استقرار وثبات البناء الاجتماعي .

غير أن أي تنظيم اجتماعي يلزم لكي تكون له فعالية أن يركز على دعائم صلبة تمكنه من أداء وظيفته في سهولة ويسر . وهي بمثابة موجّهات لتصرفات وسلوك الأعضاء وفق ما ترتضيه القيم السائدة وما تحميه فلسفة التنظيم وفي ذات الوقت تمثل هذه الدعائم أداء اجتماعية ضابطة تشكل سلوك الفرد والجماعة بالتوجيه تارة وبالقهر تارة أخرى إذا لم يجد عنصر التوجيه إذن ليس التنظيم الاجتماعي جهود مبدولة من أجل خدمة الجماعة فحسب وإنما يلزم لهذه الجهود في نفس صوابط معينة تمثل جانب الجزء لكل من يخالف أهداف التنظيم .

ومن بين دعائم قيام تنظيم اجتماعي ناجح في المجتمع توتر نظام تربوي سليم يعمل على توجيه الفرد والجماعة سواء في الأسرة أو المؤسسة التعليمية أو المؤسسات المجتمعة المختلفة ومنها أجهزة الاتصال بين صحافة وإذاعة وتلفزيون . . . الخ أن نجاح نظام التربوي في المجتمع في توصيل أهدافه وفلسفته إلى الفرد والجماعة يساعد بلا أدنى جدل في أرساء قواعد التنظيم الاجتماعي وتدعيمه ، بل أنه يمكن القول أن النظام التربوي بمفهومه الشامل هو الإطار التوجيهي في حقيقة الأمر للسلوك : بمعنى أن قدرة النظام على تثبيت معالم التراث الاجتماعي والثقافي عند أعضاء التنظيم وتمثلهم لمايسود المجتمع من قيم أو سنن اجتماعية ، يعتبر دعما لأي تنظيم اجتماعي لأنه يساعد على التكيف الاجتماعي بين الأفراد والجماعات حيث أنهم يتقاسمون قيما واحدة وأهدافا ثابتة .

وطريق النظام التربوي في المجتمع إلى الوصول لهذا الهدف لا يتم عشوائيا وإنما يتم عن طريق تساند وتفاعل مؤسسات اجتماعية متشابهة الوظيفة الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة والنادي ووسائل الإعلام المختلفة ، كلها تساعد على تنشئة الفرد تنشئة سوية خاصة الأسرة التي تنقل الفرد منذ الطفولة وتلقنه تراث الجماعة وعاداتها وتقاليدها بحيث يشب محبا لمجتمعه محترما لنظمه ومعاييرها ، وتجدر الإشارة إلى نقطة أساسية في هذا المجال وهي

انه من الأهمية بمكان أن يكون هناك تكامل بين وظيفة عيضة المؤسسات .
واتفاق تام على ما يمكن توصيله للفرد أو الجماعة ، أنه من الضروري بمكان
أن تتضارب مؤسسات النظام التربوي أو أن تتصارع فيما بينها بحيث أن
ما تنبئه الأسرة في نفوس النشء من قيم واتجاهات تلغيه وسائل الاتصال
المختلفة عن طريق ما تعرضه على الجماعة من قيم مغايرة تماما أو مناقضة
لقيم المجتمع بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، أو العكس حين تساعد وسائل
الاتصال هذه على ترسيخ أيديولوجية المجتمع وفلسفته الاجتماعية
والاقتصادية والسياسية وغيرها ثم تاتي الأسرة خاصة إذا كانت أمية ، أو
انها محافظة تقدر الماضي وتبى التغيير أو أن يكون بداخلها صراعا بين
الاجيال الثقافية ، أو أن تكون الأسرة بطبيعتها مفككة بناثيا ووظيفا في
جميع هذه الاحوال لا تستقر الأسرة بعد على فلسفة محددة تقيم المجتمع
وترائه يمكن ان تعطياها لأعضائها وفي ذات الوقت فانها تهدم الدور الهام
الذي تجرزه وسائل الاتصال بهذا الشأن .

وكثيرا ما نلمس التناقض الواضح بين الوظيفة المعاصر للأسرة والدور
الذي يؤديه المجتمع ، بمعنى أن الأسرة الحديثة وقد تقلصت وظيفتها وانتقلت
الى مؤسسات اجتماعية أخرى فيما عدا الوظائف الأساسية التقليدية وبحيث
يمكن القول أنها لم تعد الأداة الاجتماعية الضابطة كسابق عهدها في عصور
خلت من التاريخ وأصبح أعضاؤها يتمنون بشيء من الحرية الفردية الى حد
انها تنقلب الى الضد بحيث يصبح الأعضاء أكثر ميلا وانتماء الى تنظيمات
اجتماعية خارجية أكثر من احترامهم لتقاليد الأسرة وتعليماتها الضابطة .
تلك الحقائق الواضحة ينبغي ان يعالجها النظام التربوي في المجتمع بأسلوب
أو بأخر خاصة وأن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية التي يتكون منها
المجتمع اذن فمن الضروري أن يكون هناك معيارا أساسيا يعالج مشكلات
الأسرة المعاصرة بحيث تصبح جهازا تتطور فيه أهداف النظام التربوي .

ومن بين الدعائم الأساسية التي يركز عليها التنظيم الاجتماعي الدين .
اذ يعتبر هذا العنصر نظاما اجتماعيا له اثره في حياة الفرد والمجتمع ويضعه
دوركايم على قمة النظم الاجتماعية تأثيرا في النشاط الاجتماعي . لقد كان
الدين في الماضي له قوته المؤثرة والضابطة لسلوك الفرد والجماعة بفعل

طفوسه وقواعده وما يزال للدين قدسيته في نفوس الأفراد ويمثل أداة اجتماعية ضابطة على سلوكهم برغم ما يسود عالم اليوم من مشكلات ذات طبيعة اخلاقية وبرغم ابتعاد البعض عن جوهر الدين ورسالته .

وليس من شك في ان القواعد الدينية تعكس المثل العليا لديم الجماعة واعداؤها وتعمل على تنظيم علاقات الجماعة مع غيرها بحيث نخلق مناخا مستقرا وتدفع بالتنظيم الاجتماعي الى الثبات والاستمرار لخدمة اهداف المجتمع ، وهذا يدل على احترام الفرد للطفوس الدينية ومن ثم محافظته على سلامة البنيان الاجتماعي انما ينبع هذا الاحترام من وازع روى وايمان يقيم الدين ورسالته في الحياة ، ومعنى ذلك ان قوة القانون الالهى بنوق بكثير قوة القانون الوضعى ، فقد يتسنى للمنحرف الهرب من وجه العدالة الالوية لكن احساسه بالثواب والجزاء في الآخرة يدفعه دائما الى ترك المعاصى ، وبذلك تتأكد التقيم والمشاعر الدينية في النفوس وتعمل بالتالى على تأكيد روابط الصلة بين الجميع (١) .

وليس من شك في أن الدين بهذا التصور وظيفه اجتماعية لها خطرهما وجلالها في النفوس ، ومن هنا يمكن القول أن الدين انما جاء لسعادة الانسان في الحياة الدنيا وفي الآخرة أيضا ، جاء لسعادة الانسان اذا اتبع تعاليمه ونواميه وبالتالى يعيش سعيدا في حياته الاجتماعية ومن ثم نسعد حياة المجتمع ككل . لذلك نقرر أن الدين أحد الدعائم الجوهرية في دفع التنظيم الاجتماعي الى التقدم .

وإذا كان الدين يمثل أداة اجتماعية ضابطة وله اثرة الروحى في النفوس ، فان تشعب الحياة المعاصرة وتعقد العلاقات الاجتماعية تعطى للقاعدة القانونية أهمية كبيرة ، اذ لا يمكن أن نتصور قيام أى جهاز أو مؤسسة دون أن تحدد لنفسها تشريعا أو لائحة تحوى عنصرى الثواب والعقاب - وفي نفس الوقت تحدد ادوار الفاعلين فيها ومسؤولياته تجاه بعضهم البعض . وتجاه المجتمع بعامه ، القانون اذن مطلب ضرورى لتنظيم العلاقات وحماية الحقوق واطرار العدالة ومن هذا يصبح أداة اجتماعية ضابطة لها الصفة

(١) د . مصطفى الخشاب : مرجع سابق ص ٢٤٤ .

الرسمية بمعنى أنها تستعين في أداء وظيفتها الاجتماعية بأجهزة مختلفة تتخذ ما تأمر به التشريعات القانونية من أحكام .

ويجدر الإشارة الى أن القانون انما هو ترجمة أمينة لتقاليد الجماعة وقيمها وأهدافها فلا يمثل سيئا مسلطا على رقاب الأفراد والجماعات ، وانما القانون ترجمة سليمة لسلوك السوى في المجتمع وفي نفس الوقت فليس هناك مانعا من ان يقتصر من المنتخب بشئى الوسائل حتى يثوب الى رشده ويسهر بالخطيئة ومن ثم يعود الى حظيرة المجتمع مرة أخرى .

والقانون هو مظهر من مظاهر التقدم الاجتماعى فى الامم المتأهضة يحتكم اليه الجميع وينفذ الحكم دون مراعاة لشعور أحد أو سلطان العبر ، وانما يهدف الى الموضوعية فى الأحكام ومن هنا تتحقق العدالة ويسود الامن والطمأنينة ارجاء المجتمع .

ورغم أهمية وضرورة القاعدة القانونية كأداة اجتماعية ضابطة للسلوك الفردى والجماعى ، فان للسنن الاجتماعية من عادات وعرف وتقاليد سلطان لا يقهر فى نفوس الناس فى المجتمعات المعزولة أو المجتمعات القروية ، اذ قد يستطيع المجلس العرفى الذى يضم كبار السن وشيوخ القرية علاج مشكلة خطيرة قد يحار القانون فى معرفة الجانى أو فى القصاص للمظلوم ، لهذا فقد عرفت العادات والتقاليد بانها القانون غير المكتوب نظرا لسلطونها وسلطانها ورهبتها فى النفوس .

الا انه مع التعبير الاجتماعى الذى أصاب كافة المجتمعات وما زال يزحف الى الجماعات المعزولة ، مع هذا التعبير بدأت تضعف شوكة هذه السنن تدريجيا وان كان ما تزال خبيثة الصدور وتظهر الى الوجود حين تسنح لها الفرص .

ومع كل هذا فليس هناك صراع بين القاعدة القانونية وبين السنن الاجتماعية فقد سبق لنا ان قلنا ان القانون هو الترجمة الحقيقية لما يسود المجتمع عن أعراف وتقاليد أو بمعنى آخر تقنين هذه العادات فى صيغة قانونية تحدد عنصر الثواب وعنصر الجزاء ويحتكم اليها الجميع دون استثناء ، وما لم يكن القانون مترجما حقيقيا لقيم المجتمع فلن يكون له اثره القوى فى النفوس .

ونقودنا هذه الفكرة الى الاجابة على تساؤل محدد وهو هل يمكن استخدام القانون في تنفيذ علاج اجتماعى ذو طبيعة اخلاقية مثل الحد من زيادة النسل ، أو فرض السلوك الدينى على الأفراد بقوة القانون أو الخ ؟

ان الاجابة على هذا التساؤل تاتى بالفرض على طول الخط لأن مثل هذا العلاج الاجتماعى مثل تنظيم النسل أو زيادة تأثير الوعى الدينى فى النفوس بقوة القانون أو ما شابه ذلك من أمور ، لا يمكن بحال ان تفرض فرضا لانها مسائل تتعلق بمشاعر الأفراد والجماعات فضلا عن ضرورة انتناعهم أولا بجدوى هذا العلاج وما لم يتم ذلك فلا فائدة من جزاءات القاعدة القانونية .

خلاصة كل ذلك أن القانون أداة اجتماعية ضابطة ضرورية لقيام أى تنظيم اجتماعى بدور واضح وملموس ومؤثر ، وبذلك يمكن القول ان القانون يمثل احد الدعائم الهامة للتنظيم لأنه ينظم علاقة اعضاء التنظيم الاجتماعى ويحدد المسئوليات ويرتب أدوارا لكل عضو ، وفوق ذلك يحمل كل عضو بالمسئولية المنوطة به فاذا قام بتنفيذها على خير وجه أثنابه والا أوقع عليه العقاب وبذلك ينتظم أمر التنظيم .

من كل ما تقدم يبدو التنظيم الاجتماعى فى صورة جهود مبدولة من جانب الأعضاء فى اطار نسق اجتماعى معين ، وأن للتنظيم أهدافا يعمل الجميع على تحقيقها لأن الهدف من ورائها تحقيق السعادة والخير للمجتمع .

والتنظيم الاجتماعى ضرورة فى مجتمعنا المعاصر نظرا لتعقد اساليب الحياة وتشابك العلاقات على خلاف ما قد ساد المجتمعات القديمة ونظرا لخطورة التنظيم فقد تفرغ لدراسة أصوله علماء الاجتماع وغيرهم يوضحون فلسفة قيامه وكيفية قيامه بوظائفه وأساليب تأثير حركة التغيير الاجتماعى فيه فى اطار البناء الاجتماعى وفق مبدأ التخصص وتقسيم العمل الذى يدعم أهدافه ويحقق مراميى القربية والبعيدة .

كذلك فان التنظيم الاجتماعى لا يمكن أن يستمر فى أداء دوره كاملا

دون أن يستند إلى دعائم راسخة تقوم سلوك أعضائه وتبعث غيهم القدرة على تحقيق أهدافه ، من بين - هذه الدعائم قيام نظام تربوي سليم يضم أجهزة ومؤسسات تحقق أغراضه مثل الأسرة والمدرسة والنادي ... الخ فضلا عن تأثير العامل الروحي المتمثلا في الدين و نفوس ومشاعر الأعضاء ، إلى جانب قوة القانون الوضعي الذي يمثل حقيقة تنظيمية لعلاقات الأعضاء وأدوارهم .

(خامسا) الثقافة Culture

يهتم علماء الاجتماع بدراسة ثقافة المجتمع باعتبار أنها جزء من تراثه الذى يتناقله الآباء والأجداد ليورثوه للأبناء ويمثل بالتالى طابع الشخصية القومية ، ومن ناحية أخرى فان دراسة الثقافة تتداخل وتتفاعل مع كفاءة المتغيرات والعمليات الاجتماعية الأخرى ، الأمر الذى يوليه الباحثون اهتماما خاصا .

تعريف الثقافة :

الثقافة فى الفهم الأنثروبولوجى لها مفهوم خاص لأنها من المفاهيم المحورية الداخية فى نطاق علم الأنثروبولوجيا ، أن الثقافة هى المظهر الفريد للإنسان وصى التى تميزه عن غيره من الحيوانات ، أن الخطوة الأولى فى فهم الإنسان هى أن نوافق بآدى ذى بدء على اعتباره حيوانا فله خصائص يشترك فيها مع الحيوانات الأخرى ، وقد يجد المحقق تشابها فى بعض سلوك الحيوان والإنسان فحاجاتهما البيولوجية تكاد تتشابه غير أن سلوك الحيوان غريزى وله أدوار بسيطة فى حياته ، وأن سلوكنا كبشر هو إنتاج عملية تعليمية معقدة ، وهذا أمر هام للوقوف على المشكلات الإنسانية المباشرة للإنسان فاذا كانت كانت أفعاله تتحكم فيها الغريزة والوراثة لذلك نجد أنه ليس لديه عظيم أمل فى أن يحقق تغييرا هادفا فى أنماط سلوكه ، بل أننا نلاحظ أنه يتكيف فى سهولة مع حاجاته البيولوجية ، وليس معنى هذا أن الإنسان نشأ نتيجة التطور البيولوجى ، نعم قد يخضع للانتخاب الطبيعى والوراثة كأي نوع آخر من الكائنات منذ القدم لكن لدى الإنسان من القدرات العقلية التى ساعدت على تطور ثقافته ولفته .

ونستطيع القول أن هذا الحيوان الجديد كان يميل الى تكيف سلوكه مع الأشياء المحيطة به بصورة أكثر تعقلا من الحيوانات الأخرى خاصة فيما يتعلق بالتكيف البيولوجى ، إن انطيسور لديها أجنحة للطيران نيس لدى

الانسان مثلها ، ومع هذا تمكن من الطيران غير مستخدم في ذلك يديه كإطائرة .
كما استطاع الانسان أن يجر وأن يقود السيارة والجراد ، هذا التكيف
الانسانى مع هذه الأشياء هو أساس الثقافة الانسانية .

وتلعب اللغة دورا هاما في ثقافة الانسان ولديه التجربة والخبرة
بالأحداث انه يستطيع أن يضع معانى للأشياء وأن يخلق تنظيما نسقيا
للأحداث والمعانى أسماء اللغة ، وفي مقدرة الانسان وضع رموز لغوية تجعل
من السهل تعليم الآخرين نتائج الخبرات السابقة كما تساعدنا هذه الرموز
على احتزان المعرفة وتناقلها من أجيال سلفت ، وتمكن أيضا الانسان من تكوين
جماعات متعددة الأغراض بعضها كبير ، الحجم ، لكنها مع ذلك تشترك في رموز
محددة للتعارف أو التعاون المتبادل .

نستطيع إذن القول ان الثقافة نسق من الرموز المشتركة بين الجماعات
الانسانية وتنتقل منها الى الأجيال القادمة ، انه يمكن التعبير عن الثقافة
الانسانية بمفاهيم عامة ، يمكن التعبير عنها عبر قنوات اتصال عن طريق
أفراد أو جماعات متباينة وفي أوقات مختلفة وفي أماكن متميزة ، وأن الكلمة
الفاصلة في التعريف أنها نسق يجعل من الجماعة الانسانية ليس كما عشوائيا
من العادات والأنشطة بل نسيجاً متفاعلا ديناميا ، كذلك فإن من سمات
الثقافة امتلاكها من المعارف المتداخلة والمعتمدة على بعضها البعض .

وبطبيعة الحال فإن الثقافة يمكن أن يعترتها التغير ، فيما نسميه التغير
الثقافى وسوف نشير في فقرة - هذا التغير على جانب كبير من الأهمية .
وقد ينتج عن هذا التغير ظهور مواقف غير متكيفة مع المناخ السائد في
البيئة الثقافية بما يؤكد ظهور بوادر المعارضة لكافة المظاهر الثقافية الوافدة
من الخارج .

ان الثقافة انسانية الطابع بمعنى أنها تمس عاداتنا وتقائيدنا
ومعتقداتنا فضلا عن نماذج تنظيمنا المادى المشاهد اليوم في المجتمع الصناعى ،
فضلا عن تواجد العنصر الثقافى في شؤون حياتنا ككل ، في السياسة والزواج
وفي معاملة الأطفال وفي التنظيمات العسكرية وفرق الرياضة ... الخ .

ويشير بعض الأنثروبولوجيين الى المفهوم الثقافى من منظور سنوكى ،

كما أن السير ادواردب تايلور Tylor يعتبر الثقافة (او المعنية) ذات مدلول واسع اثنوجرافيا بأنها ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأى قدرات أخرى مكتسبة بواسطة الانسان فى المجتمع ، هذا التعريف يركز على الاعتماد الداخلى بين أجزاء السلوك الانسانى وأنواعه وهو تعريف يمثل الاتجاه الأنتروبولوجى .

ويبحث الأنتروبولوجيون المحدثون عن تعريف ثقافى أقرب الى البحث والدراسة ، وقد طوروا تعريفا يعتمد على الفرض القائل بأن سلوكنا الذى نتعلمه هو فى نهاية التحليل نتاجا لكيفية تفكيرنا حول الأشياء ، وهم يبحثون عن الثقافة فى مصطلح نماذج ادراكية ، وبمعنى آخر اننا ننظر الى الثقافة كخريطة عقلية تساعدنا على خلق علاقات سوية مع الغير من بنى البشر بل حتى مع الأشياء المحيطة بنا ، تلك الخريطة العقلية اذن هى قسمة مشتركة لعدد كثير أو قليل من التفاعلات الانسانية بين الأفراد ، وحين نلاحظ جماعة تستخدم خريطة عقلية مغايرة فاننا يمكن القول اذن أن هناك تداخلا ثقافيا بين الثقافة الهامشية والثقافة العامة .

ان السلوك الثقافى بطبيعة الحال سلوك انسانى بمعنى أنه نتاج الكائنات الانسانية التى تعمل فى جماعات وأن المشاركة فى انماط السلوك عمل جماعى ، بل ان السلوك الانسانى يمكن تفسيره من جانب الاقتصادى والطبيب ولكن هناك قضية عامة وهى أن الانسان حيوان اجتماعى بمعنى أنه يستطيع أن ينظم الجماعات وهذه لها سلوكها العام ، وبالتالي فلا يمكن القول أننا نرت سلوكنا الاجتماعى (١) .

ان أبرز ما يشير الى التعريف السابق للثقافة اعتبارها قسمة مشتركة بين الكائنات الانسانية يتناولها الأبناء عن الآباء والأجداد ، وهى خاصة انسانية لانه لا يمكن بحال أن يكون لعالم الحيوان ثقافة مثل تلك التى يتمتع بها الانسان .

James F. Downs : Cultures in crises, glencoe press (١)
collier macmillan Ltd. London, 1971 p. 29.

وهناك تعريف للثقافة يشير إليه العلامة تاييلور Tylor حين يرى أن انعكاسات آراء الأنثروبولوجيين والاجتماعيين عن الكائنات تجسّد في التساؤل حول اختلاف الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى ، ربما كانت الإجابة على ذلك أن الإنسان هو حامل الثقافة ، وقد احتضن الأنثروبولوجى الأمريكى كروبر Crober في مقاله الشهير « فوق العضوى » Super organic عام ١٩١٧ احتضن فكرة تاييلور عن تعريف الثقافة السابق الإشارة إليه وانتقد بشدة أفكار البيولوجية التى ترجع السلوك الإنسانى الى الميكانيكيزمان البيولوجية لكننا نجد هناك معارضين لوجهة نظر تاييلور عن الثقافة فى أمريكا، ففجّد العلامة مورجان Morgan ١٨١٨ - ١٨٨١ يتقدم بأراء مشابهة لآراء تاييلور لكنها تختلف عن آراء علماء الاجتماع الفرنسيين أمثال دوركايم ١٨٥٨ - ١٩١٧ الذى استخدم كلمة مجتمع فى مقابل كلمة ثقافة .

وفى القرن العشرين فان الأنثروبولوجيين الثقافيين أمثال مالينوفسكى Malinowski ١٨٨٤ - ١٩٤٢ وهويت White قد ركزوا على الأسس اللغوية فى مقدرة الإنسان على تطوير ثقافته ، بينما الثقافة فى تعريف كلى وكلاكهون Kelly & Kluckhonn تعنى أنها نسق تاريخى لمنط معيشى ، وأنها قسمة مشتركة بين الكل أو على وجه الخصوص بين الأعضاء المخططين فى الجماعة فى وقت ما (١) .

ويرى أوجبرن Ogburn فى تفسيره لمفهوم الثقافة والشخصية أن كل طفل يتلقى منذ نعومة أظافره قدرا من التراث الثقافى بحيث تميل علاقته مع الغير الى الدينامية وان كانت علاقته يسودها طابع الخضوع لأحكام البيئة ، ويحاول جون دىوى أن يعطى رمزا لموقف بملاحظة أن الثقافة فى مجالها الواسع تؤثر وتتأثر بالتالى عن طريق الفرد ، ويبدو هذا التأثير الثقافى على شخصية الإنسان فى معارفنا ، فهناك التأثير الفردى لسمات الثقافة غير المادية. ولكن الثقافات كل معتد ، ونحن نشعر بالرضا عند البحث عن أثر انطباعات الثقافة على الشخصية والثقافات المختلفة غالبا ما تنتج أنماطا من الشخصيات

Lewis A Coser & Bernard Rosenberg : Sociological (١)
Theory second Edition, collier Macmillan, New York 1967
p. 18.

مختلفة ، فنحن نرى في سمات ثقافة معينة سيادة روح المنافسة وفي ثقافة أخرى تبدو روح التعاون ، وان مدى التباين في سمات الشخصية ربما يكون كبيرا في نفس الوقت في مختلف المجتمعات ويتعلق بسمات الشخصية قسرة الارادة النفسية على التكيف مع الواقع - وسنشير تفصيلا لذلك فيما بعد . ويمكننا أن نشعر بالتباين في سمات الشخصية من خلال الأنماط الثقافية اذا ما علمنا أن تباين الأفراد ذاتهم بيولوجيا وحتى في علاقاتهم الشخصية كذلك هم مختلفون في تجاربهم الثقافية من حيث مراحل العمر وتباين الأجناس ، الامر الذي يمكن معه تصنيف الأفراد بحسب ما اكتسبوه من ثقافات الى قوالت متعددة . كذلك يلعب الدور الاجتماعي والمهنة والتربية والدخل والأسرة دورا هاما في تأكيد مظاهر الثقافة فضلا عن اكساب الفرد طابعا شخصيا معيناً متبايناً مع غيره ، فهناك الانسان العدوانى وهناك الانسان الوديع وهلم جرا ، وتستطيع البيئة الاجتماعية ان تخلق كائنا ثقافيا ما حرا له علاقاته وتفاعله مع الآخرين (١) .

وزيادة في تاصيل المفهوم الثقافى فان كوبر John F. Cuber يعطى تحليلا علميا لمفهوم الثقافة من منظور تاريخى حين يبرز تصويره للتصور الانسانى ابتداء من فجر التاريخ حتى عصر الذرة ويرى اننا مع ذلك لا نلم بكافة جوانب اصول المفهوم الثقافى بسبب الجذور التاريخية العميقة له ، وقد يسوغ للبعض ان يتحدث عن الثقافة في اطار عصر الذرة متعللا بقدرته على فهم قوى التغيير في هذا العصر ولم يحاول هذا البعض بذل أى محاولة لتابعة أحداث التاريخ الانسانى كما يفعل علماء التاريخ .

ويركز كوبر في تحليله للثقافة على تأثير عمليات التغيير الاجتماعى المستمدة من استقرار كثير من الثقافات المتباينة ، ويلخص تفسيره للثقافة في الأسس التالية :

١ - يشغل تطور ثقافة الانسان اغلب فترات عمره .

- ٢ - يبجو التغيير الاجتماعى للثقافة بطيئا خلال الأزمنة الغابرة على عكس ما هو مشاهد فى الوقت المعاصر من تغيير سريع .
- ٣ - ان كثيرا من الخصائص الأساسية للمجتمع الحديث مثل الديمقراطية والعلم وارتفاع مستوى المعيشة ترجع الى خبرات الانسان التى ساعدته على معرفة ماذا يفعل خلال حياته .
- ٤ - التغيير الثقافى امر محتتم ، بل أن الثقافة تحوى بذور هذا التغيير .
- ٥ - ان العوامل التى تؤدى الى سرعة الثقافة ، وتلك التى تعمل على ثباتها ، كلها ظواهر ثقافية بديهية .
- ٦ - تتباين المجتمعات فى درجة تغييرها الثقافى ، فهناك مجتمعات سريعة التغيير وعلى العكس هناك مجتمعات بطيئة التغيير أو قد يكون التغيير سريعا ثم يميل الى البطء بتأثير عوامل مختلفة .
- ٧ - ان عناصر ثقافية عديدة يمكن أن تقوم داخل الثقافة أو قد نفد اليها عن طريق بعض الثقافات الأخرى بواسطة عامل الانتشار .
- ٨ - الاختراع ضرورة حتمية تستلزم استخدام العناصر الثقافية الواقعة وعلى ذلك فان الأساس الثقافى ضرورة ، بل أنه فى بعض الأحيان يمكن أن نطلق على الاختراعات المستخدمة لفظ انتقاليع أو الموضة .
- ٩ - تأثرت كثير من المجتمعات بالتغيير عن طريق الانتشار الثقافى .
- ١٠ - يمكن أن يساعد كثير من عوامل الاختراع على احداث التكيف البطء فى أنماط الثقافة فى الوقت الذى قد يتسبب فيه عامل الاختراع لحدوث كثير من مظاعر الرفض والمقاومة .
- ١١ - ان هناك علاقة بين حدوث التغيير فى أجزاء الثقافة بتأثير عامل الاختراع وبين بطء التغيير فى أجزاء أخرى قد تقاوم الاختراع كسبب فى التغيير .
- ١٢ - ان هناك عوامل تؤثر فى تكامل طرق التفكير الثقافى ، فالقيم الاجتماعية السائدة قد تطور مصطلحات المفهوم ، فضلا عن ان مستويات الأجزاء الثقافية قد تحمل فى جذورها اصول الاختراع .

ويشير كوبر في نهاية تحليله للمفهوم الثقافي الى دور الاختراع في أحداث التغيير الثقافي ويعدد عناصر مختلفة للثقافة المادية كالمباني • الرأبى النار • الصناعة • الطباعة ••• وعناصر أخرى للثقافات اللامادية مثل الديموقراطية • القانون • التربية (١) •

وهكذا يشير كوبر الى المفهوم الثقافي من منظور تاريخى ، وعوامل التغيير المتباينة وهى فى مجملها تعطى انطبعا عاما لمفهوم الثقافة ، ويمكن القول بناء على كافة التفسيرات السابقة أن ثقافة أى مجتمع هى تعبير عن مستوى ما وصل اليه الانسان من تقدم أو تخلف فى حياته الاجتماعية والاقتصادية ، المادية منهما والروحية وعلى هذا فالمفهوم الثقافي لا يقتصر على عصر من العصور وإنما هو مستوى عام لحياة الانسان عبر التاريخ •

العلاقة بين الثقافة والمدنية :

تجدد الاشارة الى أنه يحدث خلط بين مفهوم الثقافة Culture ومفهوم المدنية Civilization لذلك رأينا أن نوضح الفروق الأساسية بين المفهومين فى هذه الفقرة ، يشير كانت الى أن الفكرة الاخلاقية ضرورية لمفهوم الثقافة ذلك لأن الاخلاق حالة داخلية على خلاف المدنية التى تعبر عن حالة خارجية للسلوك ، ومنذ عهد كانت تعددت البحوث التى تناولت هذا الموضوع ، نجد ارنولد يعرف الثقافة مثلا بأنها دراسة الكمال perfection انها البحث عن سعادة الانسان وهدايته قوامها العطاء لبنى البشر بما يفهمهم فى حياتهم الاجتماعية وهو يتفق مع « كانت » فى أن الثقافة حالة داخلية تتعلق بالعقل والروح ، بينما تتميز المدنية بالآلية وصفة الخارجية •

والتعريفات السابقة ولو أنها يغلب عليها الطابع الفلسفى الا أنها تميز بين الثقافة والمدنية فى ان الاولى ذات صفة معنوية بينما الثانية يغلب عليها الطابع المادى وان كان هذا التفسير يناقض ما جاء به أوجبرن حين تسم الثقافة الى جزئين مادى ولا مادى بمعنى أن هناك تفاعلا بين شطرى الثقافة فى مفهوم أوجبرن •

John F. Cuber : Sociology, London 1964 p. 90. (١)

وبشكل أكثر طموحا ويقترّب من فلسفة التاريخ يستخدم سبنجلر نفس التفرقة السابقة عند كانت انه ينظر الى المدنية كمظهر تحليلى للثقافة ، انه المظهر اذى تفقد فيه الثقافة حيويتها الخلاقة وتصبح آلية وتقليدية .

ويفسر العلامة ماكيفر التمييز بين الثقافة والمدنية كشكل واحد للتناقض بين الوسائل والغايات . ان ثقافتنا تجبو فى التساؤل ماذا تكون ؟ بينما المدنية هى ماذا نستخدم ؟ ان المدنية تشير الى الروح الآلية أو مستوى الأجهزة التى يستخدمها الانسان فى محاولاته لسعادته المادية وخلق تنظيم مناسب لمدينته ، بينما تختص الثقافة بالقيم السائدة ، انها انطباع تفكيرنا على مستوى المعيشة الذى نحياها وتعاملنا اليومي من الفن والادب والدين واعادة الخلق والابتكار والسعادة .

ان تمييز ماكيفر يقوم على التشابه مع اتجاه « الفرد فيبر » الذى يرى انه من الضرورى للتمييز بين الثقافة والمدنية تفرم ثلاث عمليات : المجتمع . المدنية . الثقافة . تلك العمليات انما هى نتيجة نمطية للبناءات الاجتماعية ، وصى تتبع نظاما معروفا فى العلانة فيما بينها . اننا نلاحظ مع كل يوم يمر تحولا من جانب الأفراد والجماعات وانتقالهم من تنظيم لآخر . لقد كانوا فى الماضى يعيشون فى اطار تجمع قرابى يتميز بعلاقات الوجه تترجه ، ومع مرور الوقت أصبحوا يعيشون فى اطار تجمعات اقليمية بتأثير عامل المدنية ، وفوق ذلك فلقد اتجه تفكيره الى البحث عن أرضية المعرفة والأسلوب الفنى فى التعامل اليومي وابتعد فى ذات الوقت عن البحث فيما هو فوق الطبيعة .

ان هذا التحول لم يجيء عشوائيا وانما يتم فى تداخل بين القديم والجديد ويتبع نظاما صارما تسير فى فلكه حياة الجماعة وينتاعه الأفراد من سلفهم ويصدق على كل الانسانية لا على اقليم بعينه . ولعل الفرد فيبر يشير بذلك الى مفهوم المدنية باعتبارها تنقل الانسان من حالة مادية الى أخرى .

والثقافة من جانب آخر تحدث فى خط مستقيم قوامه التبادل والتداخل والتفاعل مع كافة الظواهر الملاحظة فى المجتمع ويكون لها بالتالى سمة الاستمرارية والقدسية طوال فترة معينة من التاريخ على عكس المدنية التى

تتغير بين لحظة وأخرى وفوق ذلك فان للثقافة خصوصيات بمعنى ان الخاصية الثقافية لمجتمع معين تعبر عن مقررات حياته ومستوى معيشتة فـد لا تكون هكذا في مجتمع آخر .

ويعتقد شبنجلر في ترابط أجزاء المدنية واهتمام الافراد والجماعات بخصوصها على عكس ما يبدو في المفهوم الثقافي من حدوث التباين بين الجماعات حول جزئياتها وقد يؤدي ذلك الى عدم تجانسهم حول فكرة موحدة . وهذا المعنى يشير الى ما سبق قوله من سرعة التغير في انثقافة المادية نظرا لنتائجها المحسوسة وبطئه في الجانب المعنوي لأن التغير في هذه الحالة يصيب قيم الناس وعاداتهم .

ومن هذا المنطلق فان الفرد أو الجماعة يسمى دائما نحو التمييز بين الوسائل والغايات ، أو أن نبحث عن القيم التي تحقق دائما غايتنا . ومن هنا كان ميل الانسان باستمرار نحو العلم الذي يفيد نشاطاتنا الاجتماعية ويوجهنا نحو الاستفادة من مخترعاته ، وإذا كان العلم هو الطريق الى المدنية فكم منا على سبيل المثال ينظر اليه على أنه وسائل وكم منا يظفر اليه على أنه غايات ، وأن تنظيماتنا الاقتصادية لا تهتم فحسب بوسائل تحقيق الهدف منها ولكن أيضا تسعى للوصول الى الفرص المتاحة التي تمد بالنشاط العملي .

وفي اتجاهنا نحو الاستمرار في نظام محدد للتنمية والتطوير ، مع أن هذا له صبغة مادية ، فانه في هذه الحالة ينبغي أن يكون واضحا أن هناك اختلافا بين النمو المعرفي ، والفني والانجازات الأخرى للعقل الانساني بمعنى آخر فان التنمية لا تشمل فقط على الجانب المادي (المدنية) المتمثل في الوسائل والانجازات الاقتصادية وغيرها بل أيضا يضم الجانب المعرفي الذي يشتمل على قدرة الانسان على التفكير في اطار القيم العائدة في مجتمعه .

ان التطوير المستمر قد لا يكون في المدنية فحسب ، وانما قد نجده في الحركات الدينية التي ظهرت في التاريخ وهي اذا استعرضنا تفسير كانت وغيره تعد مظهرا من مظاهر الثقافة ، أقول أن تلك الحركات الدينية قد تطورت ولو بشكل نسبي . ذلك أن الدين ظاهرة اجتماعية ويقف مع التجربة الانسانية. وينمي في الانسان الاتجاه الى أعلى ومن هنا فان من شأن هذه الحركات أن

تشرى المحتوى المعرفى عن الانسان وتجعله اكثر احتراماً للنظام واشد رغبة في تطويره بما يناسب الوضعية السائدة .

ربما يوجد اختلاف بين الفكر الأخلاقى والتطبيق والفن ولكن عامل الانتشار ينبغي أن يكون له اعتباره في هذا المجال ذلك أن الانتاج الفنى ينتشر بسرعة بين واحد من الناس الى آخر بينما الجانب المعرفى القيمى يستقر ويبقى اطول فترة ممكنة .

ويبدو التباين بين الثقافة والمدنية في الدرجة وفي حالة الانتشار بمعنى أن الديمقراطية مثلا وهى مظهر ثقافى لا يمكن بحال أن تتوفر في جميع أشكال الحكومات القائمة اذ نجد بعض الحكومات ينزع الى الدكتاتورية بمعنى أكثر وضوحا أن الاتفاق على مظهر ثقافى معين له انسمة المعنوية أو الروحية كلما يحدث في سهولة ويسر ويأخذ طابع العمومية والانتشار ، ويؤكد ذلك ويدعمه ذلك التباين حول الاتجاهات القيمية في المجتمع بحيث يمكن القول انه ليس هناك نظرة متوازنة عند الجميع تجاه قيمة معينة أو تجاه أعمدة التطور الاجتماعى لعلاج مشكلات المجتمع (١) .

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن هناك تباينا بين مضمون الثقافة والمدنية ولكن ينبغي الا نفصل فصلا قاطعا بين محتوى المفهومين ، بل أن هناك تداخلا في الأنشطة الثقافية والمدنية نتيجة احتكاك العناصر المختلفة وتفاعلها في اطار المجتمع ويبدو هذا التفاعل في مظاهر كثيرة ، هناك على سبيل المثال تطابقا بين ما يسلكه الفرد من افعال وبين ما يعتقد في اهميته من أفكار ذات طبيعة أخلاقية أو مدنية بمعنى أن الانسان يمثل الجوتقة لى ينصهر فيها السلوك الثقافى أو المدنى .

ان كل ما يمكن قوله من خلال التفسيرات السابقة لمفهوم الثقافة والمدنية أن الأول (الثقافة) حالة داخلية أو ذات طبيعة معنوية ، بينما المدنية حالة خارجية أو تتسم بالصفة الآلية ، وإذا جاز قبول وصف المدنية بهذه السمات، فان مسألة الخصل التعسفى بين المفهومين يكون مثار جدل ونقاش خاصة عند الأنثروبولوجيين الذين يقبلون المفهوم الثقافى في دراساتهم وتحليلاتهم .

Moris ginsberg : Sociology, 1961 p. 44.

(١)

خصائص الثقافة :

من العرض السابق لمفهوم الثقافة يمكن أن نحدد مجموعة من الخصائص الأساسية لهذا المفهوم ويمكن أن نجعلها على النحو التالي :

أولا : الثقافة تحصل بالاكتساب والتعليم : فهي ليست غريزية أو تنتقل بيولوجيا عبر الأجيال ، بل يكتسبها الفرد من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه من خلال التراث الاجتماعي والثقافي ، وإذا كان تحصيل الثقافة يتم بالتعليم فانها بالتالي ينبغي أن تخضع لتأثيرين التعليم ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

ثانيا : الثقافة اجتماعية بطابع : لانها تخص الانسان وتغير عن مستوى حياته الاجتماعية ، ولها قوة الضبط الاجتماعي على الافراد الذين يتقاسمونها فهي شركة بينهم ، وإذا كانت الثقافة اجتماعية الطابع فان مصيرها يرتبط بمصير المجتمع الذي يحتويها .

ثالثا : الثقافة لها صفة التصورية : ذلك أن عادات الجماعة التي تحتويها الثقافة توضع في أنماط تصورية أو أنماط سلوكية تعبر عن فلسفة الجماعة في الحياة وان كان عذا لا يمنع من حدوث تباين في هذه الأنماط بحسب الظروف والمتغيرات السائدة والمؤثرة في تسييم الثقافي ، وبغلا عن ذلك فان هذه الأنماط التصويرية أو المثالية لها ترجمة تجرد في سلوك الجماعة وعاداتها وأهدافها .

رابعا : للثقافة صفة اشباع وارضاء الحاجات والميول البيولوجية والاجتماعية بل ولها قدرة ترجيه هذه الميول من خلال ردود الأعمال التي تحدث من جانب الجماعة ازاء المفهوم الثقافي .

خامسا : للثقافة خاصية التكيف مع الظروف البيئية المختلفة من خلال عملية الاستعارة لثقافة مغايرة ، وبذلك تميل الثقافة لتصبح متكيفة مع المتطلبات المستحقة البيولوجية والنفسية عند الكائن الانساني .

سادسا : للثقافة سمة التكامل : ويحدث هذا التكامل نتيجة التكيف بين الأجزاء الثقافية والظروف الاجتماعية ، وقد سبق أن أوضح سمنران الفولكلور هو علم ثماني مترابط أجزاءه ، وان كان هذا لا يمنع من حدوث

عوارض مختلفة تؤدي الى الاخلال وعدم التوازن مثلما نادى أوجبرن في نظرية
التخلف الثقافي (١) .

معنى هذا ان خصائص الثقافة في مجملها انما تتبع من المجتمع وتناثر
بكافة المتغيرات الاجتماعية التي تشكل النمط الثقافي السائد بل ان الثقافة
هي الأخرى تؤثر في أنماط السلوك وتشكلها من خلال عملية التطبيع الاجتماعي
أو بمعنى آخر للثقافة وظيفة اجتماعية .

وظيفة الثقافة :

ان الثقافة نسق ، كأي نسق آخر وتتركز وظيفتها في علاج مشكلات
الانسان سواء ما تعلق منها بأسلوب الحصول على الطعام أو المأوى أو رعاية
الشباب الشباب أو وسائل الاتصال أو وسائل الضبط الاجتماعي ، فضلا
عن ذلك فانها تضع نمط العلاقات الاجتماعية الذي يربط الجماعات في اطار
ثقافي معين . انها تساعد الانسان على التكيف مع ظروف البيئة الاجتماعية
أو الجغرافية وحل المشكلات التي تواجه الجنس البشري . ان علاج هذه
المشكلات يمثل مادة الثقافة وفي اطاره تؤسس الأدوار المختلفة للأفراد
والجماعات .

وغالبا ما يمثل ماضي المجتمع وتراثه الجذور الحقيقية لكافة ما يعاني
منه المجتمع من مشكلات وعلى ذلك فان نظرة فاحصة في محتويات الآداب
الشعبية على سبيل المثال ربما يضيء الطريق أمام الباحث للوصول الى
المتغيرات السالفة التي أثرت في حدوث مشكلات بينها في الماضي وتركت
جذورها في الحاضر (٢) .

ويشير الى النهم السابق لوظيفة الثقافة العلامة الأنثروبولوجي
ماليونوفسكي حيث يرى أن الثقافة أداة يستطيع بها المرء التغلب عن مشكلات

(١)- Bell, Sirjamaki : Social Foundations of human Beha-
vior 2 Edition, 1961 p. 37.

(٢)- George Peter Murdock : Culture and Society U.S.A
1965 p. 80.

البيئة ويرى أن اتباع المنهج الوظيفي عام في الدراسات الحقلية لأنه يساعد على تحليل الثقافة الى عدد من النظم (١) .

ويتفق مالاينوفسكى مع رادكليف براون في أن التحليل الوظيفي يبني دراسة وشرح الجزء سواء كان سوسيوولوجيا أم ثقافيا ومدى تكامله مع النسق الثقافى الكلى بهدف شرح الحقائق - الأنثروبولوجية على كل المستويات فى وظائفها (٢) .

يمكن القول اذن أن الثقافة وهى تعبير عن مستوى ما وصل ليه مجتمع ما من تقدم أو خلف تشير الى وظيفتها فى مدى حل المشكلات وبالتالي بتقدم المجتمع أو عجز ثقافة مجتمع ما عن علاج مشكلاته فيسود التخلف الثقافى .

التغير الثقافى :

ان ثقافة أى مجتمع قد تكون من النوع المتطور الدينامى بمعنى انها تكون فى حالة تغير مستمر ، أو قد تكون من النوع المقدس أى بطيء التغير ، وبالتالي تكون فرصة حدوث تغير ثقافى قد يفضى الى تقدم قاصر الحدوث ، ومن هنا كانت أهمية الحديث عن عملية التغير الثقافى .

لقد سبق أن أوضحنا أن الثقافة هى نتائج التعلم اكثر من كونها موروثة وفى نفس الوقت فان العوامل البيولوجية التى تؤثر فى عملية الوراثة قد تتأثر هى الأخرى بالتعليم أو أن تدخل فى تفاعل مستمر مع عمليات الاكتساب .

الثقافة قسمة مشتركة - كما سبق القول - بين اعضاء المجتمع ، وقد يصنف الأفراد وفقا لقوالب ثقافية درجوا عليها منذ الصغر ، ومع ذلك فانهم يدخلون كفاعلين فى علاقات مع طبقات أخرى أو وظائف مهنية لها ثقافات مغايرة لثقافتهم أو بمعنى آخر يحتكون ثقافيا بهذه الفئات بحسب طبيعة الموقف الاجتماعى الذى تنشأ فيه الجماعة . ان نتيجة هذا الاحتكاك الثقافى داخل مجتمع واحد يولد سلوكا ثقافيا مغايرا كما تطبع عليه الفرد من خلال عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية .

(١) د . أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى الجزء الأول (المفاهيمات) الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ ص ٦٥ .

Merton : Op. Cit. p. 74.

(٢)

وفضلا عن ذلك فان من خلال وسائل الضبط الاجتماعى الرسمى أو التقليدى تتكون لدى الأفراد ثقافات تتمكن من التكيف مع ثقافات مغايرة وقد تبدو هذه الثقافات في عادات ثقافية في الفعل أو تبدو في عادات تتعلق بالفكر وهذه قد تسمى عادات كلية ، تشتمل على كل مظهر ثقافى يبدو في المشاعر أو الوسائل الفنية أو المعتقدات الدينية أو يظهر في القواعد والمعايير التى تتصرف الجماعة وفقا لها . وفوق ذلك فان الافكار العامة التى تشملها الثقافة قد تدفع الغير الى عنصر التوقع الاجتماعى لسلوك معين من جانب الآخرين others أو الاستجابة لهذا السلوك بصرف النظر عن جانب الثواب أو العطاء الاجتماعى أو جانب الجزاء .

ان التغيير في السلوك الاجتماعى وبالتالي في الثقافة يمثل اطرا مرجعيا لمعنى التغيير الشامل في حياة الجماعة . وتمثل الاختراعات الثقافية مؤشرات هامة في انتاج التغيير الثقافى وذلك في ضوء متغيرات اجتماعية مختلفة مثل زيادة أو قلة عدد السكان أو التغيرات في ابيئة الطبيعية أو الهجرة الى بيئات جديدة أو الاحتكاك مع جماعات مغايرة ثقافيا لعادات المجتمع الأسمى .

ولقد سبق للأنثروبولوجيين التاريخيين عموما مناقشة السمات الخاصة للثقافة التى تبدو من خلال استخدام الدخان والعجلة أو استخدام النقود والمعادن أو أى سمة أخرى - ننسأ نتيجة الانتشار في أى جزء من المجتمع ومشكلتنا اذن هى كيف تتغير الثقافة وأول عامل في هذا المجال هو الاختراع ، وهو لا ينشأ طفرة واحدة وإنما يتم خلال عمليات تعلم مختلفة أو أن - الاختراع في مجتمع ما هو المظهر الأصل لنتائج عملية التعلم والتنشئة ، من ناحية والمشاركة الثمرة من جانب المخترع والجماعة السائدة .

والاختراع كمغير يشتمل على اجراء التحول من السلوك العادى فى موقف اجتماعى معين الى موقف آخر مع الارتباط بكل ما هو مبتكر في المجتمع. ومع أن الاختراع قد ينتج بنا الى الناحية المادية الا ان له أيضا مظاهر غير مادية تبدو في المفهوم الثقافى أو بمعنى أكثر توازنا فان الاختراع يمثل المحترى الخارجى للسلوك الثقافى .

وبطبيعة الحال فان أول خطوة في عملية الاختراع هى التجربة وهى تتضمن معنى عدم التمسك بالماضى بالضرورة بل أن التجريب الثقافى من

شأنه أن يكسب الجماعة حالات من السلوك المقيد في إيجاد حل لمشكلات المجتمع الذي يهدف الى تطوير ثقافته باستمرار فضلا عن احداث النمو المتوازن - لأجزاء الثقافة المتغيرة بقدر الامكان وفى هذه الحالة ينبغي على الجماعة أن تتبنى مفهوما متطورا يتفاعل مع فكرها النظرى والنظيقي وأن يكون لونا من ألوان المساعدة المتبادلة بين الأطراف المختلفة حتى يمكن الوصول الى اختراعات مفيدة تؤثر في تغيير النمط الثقافى السائد (١) .

يعتبر عامل الاختراع اذن واحدا من عدة عوامل تؤدي الى احدث التغيير الثقافى . وزيادة في الايضاح فان اجبرن Ogburn يربط بين الاختراع والقدرة العقلية والثقافية حين يرى أن الاختراع يتطلب قدرة عقلية ناصجة وهذا يستتبع بالتالى التحسين المستمر في تنمية هذه القدرة عن طريق الثقافة أو بمعنى آخر عن طريق عملية الاكتساب والتدريب بحيث يحصل المخترع في نهاية الأمر على مكانة ثقافية مكتسبة لأنه ساعد على انتاج ثقافى (مفهوم أوجبرن حيث يرى أن الثقافة تشتمل على الجانب المادى والمعنوى) جديد . بل أنه يرى أن من اسباب التخلف : ندرة الاختراع وعدم القدرة على التكيف مع الثقافات المادية المستحدثة (٢) .

ومن هنا تبدو أهمية الاختراع كعامل جوهري في التغيير الثقافى بصفة عامة : ومع ذلك فهناك أيضا عوامل أخرى تساعد على حدوث التغيير .

ومن بين هذه العوامل ما يسمى بالاستعارة الثقافية Cultural Borrowing وقد تسمى أحيانا بعامل الانتشار Diffusion وفى هذه الحالة لا يكون المخترع innovetor هو اصل العادات الجديدة ، وإنما تتم الاستعارة فى هذه الحالة من ثقافة مجتمعات مغايرة وربما تشمل الاستعارة الثقافية معنى التقليد Imitation للعناصر الثقافية الوافدة وتحتاج عملية التقليد فى هذه الحالة الى أسلوب معين فيتعلم الانسان من خلاله الجماعة كيف تقلد كل ما هو جديد ، فضلا عن ذلك يتكيف فى سهولة وبدون صراع معه . وربما يكون عامل الاحتكاك الثقافى Cultural Contact أحد الأركان العامة لاتمام عملية

Murdock : Op. Cit. 1117.

(١)

Ogburn : Social Change, The viking press Inc. New

(٢)

York, 1955 pp. 8088.

الإعارة الثقافية ، إذ لا يمكن أن نتصور ارتباطا ما بين العزلة والاحتكاك الذى قد يكون بتأثير التبادل التجارى أو بفعل الإرساليات التبشيرية أو تنفيذ مشروعات مختلفة في مجتمعات أخرى ، أو قد يتم الاحتكاك عن طريق الغزو السياسى أو العسكرى .

وؤكد مرة أخرى الى أن عملية التكيف الثقافى أو بمعنى آخر عملية الموافقة الاجتماعية على كل ما هو وافد من الخارج مطلب ضرورى لاتمام التغير الثقافى في هدوء وهذه الموافقة هي قسمة مشتركة بين الأعضاء ، أنها تعبير عن التألم بالعادات الجديدة وتكامل القديم مع الجديد بحيث يصبح الناتج الثقافى نركة يتقاسمها الكل بدون هذا التكيف ، فان الصراع الثقافى هو البديل ، ومهما كانت نتيجة الصراع فان عناصر الرفض والمقاومة تظل كافية الى أن تسنح لها الفرصة للاطاحة بالعنصر الثقافى لجديد (١) .

يقضمن التغير الثقافى اذن تغيرات شتى سواء في الجانب ائدى المتمثل في الوسائل التكنولوجية أو في الجانب العنوى المتعلق بالايديولوجيا والمعتقدات والقيم والأفكار وغيرها ، ونسائل هل هناك من فروق بين التغير الثقافى والتغير الاجتماعى ، أنه في حقيقة الأمر يؤثر التغير الأول بشسدة في معظم جوانب المجتمع ، ولكن نظرا لأن المجتمع هو الذى يتم فيه حدوث التغير الثقافى بما يمثل على تراث اجتماعى وثقافى ، وانماط من العادات والقيم والثقافات المتباينة ، فضلا عن أن عوامل نجاح التغير الثقافى أو عوامل جموده تتعلق بطبيعة المجتمع ومبلغ رضاء الارادة الكلية فيه عن التغيرات أو رفضها ومقاومتها فانه يمكن القول أن المجتمع يمثل الاطار المورفولوجى الذى يجسد ثقافة معينة ، كما أنه من المحتمل الا يؤثر التغير الثقافى بدرجة متوازنة في جميع أجزاء البناء الاجتماعى .

بناء على ذلك فان هناك تداخلا في الفهم بين لتغير الثقافى والتغير الاجتماعى ، بحيث يمكن القول أن التغير الثقافى يعتبر تغيرا اجتماعيا والعكس بسبب أن التغير على اختلاف أشكاله إنما يتم داخل المجتمع (٢) .

Murdock : Op. Cit. 119 — 157.

(١)

(٢) د . مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مرجع سابق ص ١١٢ .

التغير الثقافي اذن له أهمية خاصة حيث يتأثر بحدوده كافة مقومات الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع وبالتالي يكون له من الفئات والآثار ما قد يدفع بالمجتمع الى حدوث تقدم اجتماعي اذا احسن استغلال التغير الذي حدث أو على العكس قد يقود التغير الى صراع نتيجة عدم تقبل الوضعية الاجتماعية السائدة للتغيرات الثقافية الجديدة سواء كان هذا التغير من الداخل أو حدث من الخارج بفعل عوامل متعددة كالاستعارة الثقافية والانتشار الثقافي وغيرها .

العلاقة بين أنماط الثقافة وأنماط الشخصية والسلوك :

يشير سوروكن الى تلك العلاقة بين أنماط الثقافة وأنماط الشخصية والسلوك في كتابه « الديناميات الاجتماعية والثقافية » فيرى أن النمط المسيطر لحالات الثقافة هو النمط العقلي للكائن الذي يؤد ويعيش في اطاره وعلى ذلك يمكن أن نستنتج في الحال مظاهر الثقافة من خلال المظاهر العلمية والفلسفية والدينية والأخلاقية والتشريعية وكافة الآراء الأخرى من نظريات ومعتقدات واختبارات وأساليب الافناع باختصار أن الفلسفة العامة للكائنات الانسانية في المجتمع تصاغ في أنماط تصورية ، ويعيش الأفراد في نفس الوقت ثقافة حسية مدركة يتشكلون بها في سهولة ويسر ، ولا يتم ذلك بطبيعته الحال الا من خلال احتكاك نفسي واجتماعي مع تلك الثقافات من واقع ذاكرتهم التي تمي خصائصها وأبعادها وعلى هذا يمكن القول بان الذاكرة تمثل البؤرة التي ينمكس منها كافة الخصائص الثقافية لكل الكائنات الاجتماعية المحيطة بها .

ان ذاكرة الانسان سوف تكون رشيدة وواضحة اذا دخل الانسان في احتكاك فقط مع الثقافات الناضجة الرشيدة التي لها أبعادها ومعابها العميقة في اركان البناء الاجتماعي ، وفضلا عن ذلك فانه يحدث نتيجة احتكاك ذاكرة الفرد مع الثقافات المختلفة وتعاملها معها في رشد وثبات فانه ينتج عن ذلك نتاجا متوافقا من الثقافات المتباينة المعقدة في ذات الوقت .

غير أن ذاكرة الفرد قد تصبح غير متكاملة اذا تكيفت مع ثقافات غير متكاملة اللهم الا في الحالات النادرة التي ينتج عنها مزيجا من التركيب الثقافي الجديد الذي يحوى عناصر مختلفة لثقافات متباينة .

وهناك حالة أخرى حول مشكلة العلاقات بين الأنماط الثقافية المسيطرة

والسلوك انفعلى للأفراد الذين يمثلون أجزاء له وأن الاختلاف بين المشكلتين. واضح ، قد يتكامل الفرد بأسلوب أفضل وربما يتحمس لتفسيرها وعلى هذا فان كل أفعاله وسلوكه يحدث فيها تباين عظيم مع نفسه وذاكرته فى هذا الحقل .

وعلى ذلك فان السلوك الواقعى للجماعة قد يصيبه الغرور بالنفس وقد يعميه ذلك عن معرفة أنماط الأشخاص الآخرين الذين قد يتميزون بالشرف والفضيلة والطهارة والتواضع فى الماكل والمشرب وهلم جرا ، وقد يمسد ذلك الانسان الى الاعتداء على سلطة القانون .

وقد يستطيع الفرد فى هذه الحالة أن يكون حسن السلوك من أجل غاية يعتنقها ويؤمن بها ويدافع عنها وتمثل قيمة ذات معنى فى ذهنه ومعتقده كان يؤمن الفرد بالأمة أو بالرفاهية العالمية ، أو يؤمن بأى فلسفة اقتصادية معينة قد تكون رأسمالية أو قد تكون شيوعية وهلم جرا ، وهكذا ينتج عن الاعتقاد الحسن سلوكا نمرًا وفعالاً . ان الفعل أو السلوك غير السوى ربما ينقل الى الغير وتكون له أحداث مدمرة من جانب الفاعلين الحقيقيين .

كل هذه المعانى المميزة للارتباط الداخلى بين النمط المسيطر للثقافة والذاكرة ، والعلاقة بين النمط المسيطر للثقافة والسلوك أمر على جانب كبير من الأهمية ، ويمثل مشكلة تحتاج الى الدراسة .

وهناك التفاعل المستمر بين هذه النماذج الفردية وبين السياسات العامة فى المجتمع والتي تدخل فى اطار حركة التقليد الاجتماعى اذا ما كان مصدرها غير متطابق أو متبادل فى التغيير وغالبا ما لا يجدى السلوك الخاطىء فى فرض نفسه على الجماعة ككل . وفوق ذلك فهناك من الضغوط القوية التى تفرض نفسها على الأفراد من خلال مناطق ثقافية فى أجزاء من المجتمع بحيث تتطابق فى الاتجاه مع قرار السلطة الزمنية « الحكومة » أو تواكب التسلط الروحى ، وبهذا يمكن أن يتكيف الافراد مع كافة الاتجاهات السائدة .

ويتوفر لدى المجتمع كذلك قوى داخلية تؤثر على مسار الافراد

Pitir'm sorokin : Soc'al and Cultural Dynamics, (١)
London, 1957 p. 606.

واتجاهاتهم مثل القوى الاقتصادية ، أو بعض الضغوط الثقافية التي تتغير في ثبات وفي استجابات جزئية لتصبح في نهاية الامر مقاييس عالية أو محلية ، وغالبا ما يرجع الى التقدم العلمي والتربوي تأشيرته على أسلوب تحرك الأفراد كاجزاء من كل نحو غايات روحية أو مادية .

يمكن القول اذن أن هناك تفاعلا مستمرا بين الذات الفردية سواء من خلال السلوك أو الشخصية مع الأنماط الثقافية السائدة ، وقد يمثّل هذا التفاعل حركة ايجابية أو سلبية .

الثقافة والأسرة :

ان الثقافة جزء من التراث الانساني العام ، انها الوسيلة التي يتمكن بها الانسان من التعبير عن ذاته وشعوره بطرق متنوعة وبمعرفة العديد من الأنماط الشكلية ، انها تنتقل من جيل الى جيل ، انها تعلم الجيل الحديث خبرات الجيل القديم ، ولكن ايضا وبشكل خاص تعبر عن المشاعر الدفينة عن طريق وسائل الاتصال وتثير عند الانسان أنواعا من القضايا حملها الآباء للأبناء خاصة في مراحل الطفولة الأولى . ان وسيلة اتصال الطفل بمجتمعه موجوده قبل أن يحصل الطفل على فرصته في التعليم ، وان أفكار الأنماط الثقافية تبدو في شعورنا وهي كما قلنا تنتقل عبر وسائل الاتصال ، وبطريقة ما فان الأم تضم الابن اليها وتغمره بالسعادة . أو قد تنفسره بالغضب عن طريق الصوت الخشن وبذلك يتمكن الطفل أن يتعلم مشاعرها عن طريق اشارات فيزيقية شتى سواء عن طريق التوتر Tension أو الاسترخاء . relaxation .

ان الثقافة بهذا المعنى العام ظاهرة انسانية عامة ، وتبدو واضحة باى شكل من الأشكال شعوريا كان أو ظاهريا ، ويتمكن الطفل عن طريق المحاولة والخطأ أن يتعلم ثقافة قومه . ان الثقافة تعنى القدرة على التكيف في المواقف الصعبة ، انها تعنى خلق عالم خاص من الخبرات حيث يتعرف الانسان حتى على بيئات وتضاريس لم يسبق له رؤيتها .

وتبدو انعكاسات الأنماط الثقافية من خلال افعال الطفل في موقف معين ، وبسبب اعتماده على الخارج في تلقى تراثه الاجتماعي والثقافي حتى يصبح كائننا اجتماعيا ، ويعتمد في هذه الحالة على تكرين علاقات اجتماعية

مع غيره من الأفراد ، وأن الأطفال في مرحلة الحياة الطفلية هم الاعضاء
المؤسسون للأسرة .

وعلى ذلك فإن الطفل يستطيع أن يدخل منذ ولادته في اتصالات على
درجة ما من العلاقات مع أشخاص قليلين هم الآباء والأمهات .

ولقد تطورت الأسرة خلال التاريخ الانساني المعروف وبدأت كأنها
العنصر الانساني الغازي لثقافة الطفل باعتباره يتحول من حيوان الى كائن
انساني وليس فقط الصفات الفيزيائية أو الحيوية ، بل أيضا تتطور
الخصائص الانسانية المميزة من الاستجابة الانفعالية ووسائل الاتصال التي
تخلق من الطفل عنصرا متفتح الذهن وأن الطفل كإنسان إنما هو عضو في
جماعة الجنس البشري بصفة عامة ومن حقه أن يلتم بالتراث الانساني (١) .

المفهوم الثقافي إذن على صلة وثيقة بالأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية
الأولى في تكوين المجتمع ، فضلا عن كونها بؤرة الأنماط الثقافية التي عهد
المجتمع إليها بترصيلها الى أعضائها من خلال التراث الثقافي . وتتمكن
الأسرة من أداء هذه الوظيفة عن طريق عملية التنطبيع الاجتماعي ، فالأسرة
وهي حاملة الثقافة تنتقلها الى أبنائها من خلال هذه العملية بحيث يتمكن
الفرد أن يتكيف في سهولة ويسر مع ثقافة المجتمع ككل .

وخلاصة القول ان الثقافة بالمفهوم المشار اليه تعد حجر الزاوية في
الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية على حد سواء باعتبار تفاعل
وتداخل هذه الدراسات لأنها تتم من خلال مجتمع . أما عن العلاقة بين مفهوم
الثقافة والمهنية ، فقد كان الاتفاق واضحا على اعتبار المهنية حالة خارجية
وتتعلق بالآلية والاختراع . وان كنت أميل الى النظرة للثقافة باعتبارها كلا
لا يتجزأ ، تتكامل من أجل علاج مشكلات المجتمع بصفة عامة .

Robert Endleman : personality and social Life, (١)
Randomhouse, New York, 1967 p. 27.

(سادسا) الضبط الاجتماعى Social Control

لمفهوم الضبط الاجتماعى ابعاد معينة يتعلق البعض منها بالسلوك ، وكثيرا ما نجد فى التاريخ ظهور وسائل ضبط مختلفة لتوجيه سلوك الفرد والجماعة تجاه مواقف محددة . حتى انه فى عالم الحيوان فقد تمكن «بافلوف» من التأثير على سلوك الكلب فى تجربته المعروفة بواسطة اشارات ظاهرة ومرتبطة تعد كوسائل للاتصال الرمضى بينه وبين الكلب . موضع التجربة بمعنى آخر انه استطاع ان يضبط سلوك هذا الحيوان ، الامر الذى يوحى بالقول بان عملية الضبط الاجتماعى قد تستخدم بصورة ما فى مجتمع الحيوانات .

اما فيما يتعلق بابعاد هذه العملية فى المجتمعات الانسانية فان احدا يمكن ان يفترض دراسة السلوك الاجتماعى المنضبط من خلال المقارنات الثقافية الامر الذى يكون له أهمية تفكر فى اكتشاف مدى عمومية أى عملية ثقافية وقد يؤدي ذلك الى تطور هائل فى المجتمع الانسانى بعد دراسته النظم الاجتماعية لضابطة ، فالاسرة وهى أقدم نظام اجتماعى تعد اداة اجتماعية ضابطة وان خفت حدتها فى المجتمعات الحديثة ، وكذلك الدين أو النظم التربوية والاقتصادية كل هذه نظم اجتماعية ضابطة ولها اثرها فى توجيه سلوك الفرد .

وحول معنى الضبط الاجتماعى - فان ضبط سلوك الفرد والجماعة من المشكلات النظرية والتطبيقية فى العلوم الاجتماعية ذلك ان المعاملة التى يتلقاها الانسان من غيره انما تؤثر فى افعاله وتوقعاته عن الغير ، ويدور حول هذه المشكلة أنماط شتى من أفعال الأفراد فقد نجد من الأفراد ما يبدو فى سلوكه اليأس رغم أنه يعيش فى اطار مجتمع منظم (١) .

(١) John Paul scott & sarah of scott : Social Control
& Social change Univ. of Chicago press U.S.A. 196 pp. 6.

ويشير الفريد ماكلنج لى Mc Clung (١) عملية الضبط الاجتماعى فيرى أنه فى حياة الجماعة الأولية يكون الفرد أكثر حساسية لدوره ، بينما فى الحشد فان الفرد يفقد ذاته وسط حركة الجماهير وفى كلا الحالتين فان وسيلة الضبط غير الرسمية تتم رغم أنف الفرد . بينما ينشأ الضبط الرسمى حين تتطور سلوكيات الأفراد باجتماعهم معا فى اطار اجتماعى ، ويرى «سمنتر» أو الفلكلور ربما يمثل احد وسائل ضبط السلوك باعتباره يمثل ماضى الامة وهو تركة قومية يتوارثها الأبناء عن الآباء وحول الفولكلور كاداة اجتماعية ضابطة فان سمنتر يقسمه بين استخدامات وأعراف فالاستخدامات هى أتراب الى التطبيق بينما تعكس الاعراف مقدمات الجماعة ، والاستخدام فى المنجزم الثيروانى « يعنى الاستخدام الجزئى ثوابا كان أو عقابا » .

ان الاعراف تمثل فولكلور يحمل بين طياته عنصر الجزاء ، ونسرق المؤسسات الضابطة بين الجزاءات المنتظمة وهى تشتمل على القواعد التى ارتضتها الجماعة . والسؤال الذى قد يثور هو كيفية تطبيق الأعراف فى المجتمع المتعد افرادا كانوا أم جماعات ، وكيف يجتمع الاثنان فى اطار مجتمع متغير . ويلعب العمل الصناعى دورا هاما فى تطوير القواعد الضابطة بالرجوع الى المواقف المتكررة التى تواجه الأفراد المكونين لبناء الصناعة . واذا كانت الجماعة تلعب دورا ما فى أرساء النظم الثابتة فانه من المحتمل أن تضع من القواعد والمعايير التى تنمشى مع أهداف السلطات الرسمية .

واذا كنا قد تحدثنا عن الأعراف والفولكلور باعتبارهما اداة اجتماعية ضابطة بصورة غير رسمية فان الوقت قد حان للحديث عن الضبط الرسمى . ويمثل عذا اللون من الضبط فى القانون من خلال تطبيقه فى الأجهزة القضائية والأجهزة المعاونة ، ويطبق بعض الدارسين فكرة القانون على كل القواعد الاجتماعية التى تنظم عن طريق الجزاءات . ويحدد العلامة روسكر باند Roscoe Pound لقانون بالرجوع الى عملية الضبط الاجتماعى من خلال

Alfred Mc Clung Lee : Principles of Sociology, Bar- (١)
nes and Nober Inc. New York 3 edition, 1969 p. 171.

التطبيق النسبي للقوة السياسية المنظمة للمجتمع . ويشق القانون من مصادر مختلفة كالعادات والتشريعات والنظم الادارية ، واذا كان الحكم هو نتيجة الضبط القانوني فان الاعراف تمثل صورة القانون غير المكتوب ، ومن المشد القول بأن هناك تكاملا بين القاعدة القانونية والنظم الأخرى وبالرجوع الى مالفينوسكى فان قوة القانون تنم من خلال بناء النظم في المجتمع الحاضر .

ومن الأشكال التي قد تعود الى الضبط الرسمي تلك الوظيفة الأخلاقية للنظام الاجتماعي وهي ان كانت تجدر بشكل ملحوظ في الجماعات الصغيرة ، الا أنها تمثل أحد وسائل الضبط الرسمي اذا ما تدخل المجتمع بأجهزته في ارساء هذه القاعدة ، كما أنه في اطار جماعة العمل تتوفر من القواعد الأخلاقية والرسمية ما يكفل ضبط وتوجيه السلوك الفردي .

انه في كل مجتمع توجد تصنيفات للأفراد والجماعات بالرجوع الى درجاتهم وطبقاتهم الاجتماعية وأخلاقياتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وهنا يبرز التباين في أشكال الأدوات الضابطة لسلوك الأفراد والجماعات بحسب مكاناتهم الاجتماعية .

ومن الوسائل الاجتماعية الضابطة بخلاف القانون والاعراف والقاعدة الأخلاقية فان هناك السياسة والرأي العام والصحف ، وقد أشار بارك Park في تقرير له كيف أن الصحافة تمثل اداة اجتماعية ضابطة في علاقاتها بالعمل التجاري مثلا اذ لها تأثير ضابط على استهلاك الفرد والجماعة .

والضبط الاجتماعي تعريف محدد في معجم العلوم الاجتماعية يراد به مختلف القوى التي يمارسها المجتمع للتأثير على أفراده سواء كان ذلك عن طريق السنن الاجتماعية أو أجهزة يستعين بها لفرض حمايته لمقومات المجتمع وعدم حدوث مظاهر الفوضى نتيجة غياب الضبط ، معنى هذا أن هناك علاقة قائمة بين الفرد والنظام الاجتماعي وتتنطق هذه العلاقة الى أساليب الضبط نفسها ومدى تقبل الأفراد لها كأداة اجتماعية ضابطة .

وترتكز عملية الضبط الاجتماعي بطبيعة الحال على أساس مقرر هو أن النظام الاجتماعي خاضع لقوانين قد تكون عرضة للتخلف حين يسنهنين بها الأفراد رغم أنها تمثل سلطة ضابطة على سلوكهم ، وعلى المجتمع القيام

جعل مضاد لهذه الانحرافات حتى يحفظ للنظام العام والمعايير والقيم سلطاتها ونفوذها على الأفراد والجماعات .

وسيلة الضبط الاجتماعي في اقرار احكامه هي قاعدة الجزاء وله مظهران : فقد يكون جزاء ايجابيا مثل اساليب تشجيع الأفراد واثابهم على فعل محمود أدركه وقد يكون الجزاء سلبيا ومهزله العقوبات لمن تسول له نفسه الخروج على معايير الجماعة وقيم المجتمع ، وبطبيعة الحال فان هذا الجزاء العقابي يتناسب مع حجم الفعل غير السوى الذى قام به الفرد وعلى هذا الاساس يمكن القول أن لعنصر الجزاء وظيفة اجتماعية لأنه يترجم عن ظاهره القهر التى يمارسها المجتمع للقضاء على مظاهر العصيان والتمرد ويتم عذا القهر عن طريق سلطان القانون او تحت تأثير الشعور بالخوف والرغبة (١) .

وللضبط الاجتماعي وسائل متعددة تتفاوت في درجة شدتها وسلطانها بحسب طبيعة البناء الاجتماعي نفسه ، فليس من شك في أن للعادات والاعراف سلطة قاهرة قد تفوق سلطة القانون الوضعى وذلك في الجماعات الأولية مثل الريف ، بينما يعتبر القانون وسيلة الضبط الرسمية التى لا غنى عنها في المجتمع بعامة وفي الحضرة على وجه الخصوص .

وقد سبق لنا الحديث عن دور النظام التربوى ومؤسساته من أسرة ومدرسة وغيرها ، فضلا عن الحديث عن الدين والقانون كأحد دعائم التنظيم الاجتماعي في موضع سابق وهذه الوسائل في نفس الوقت تمثل أدوات اجتماعية ضابطة ولها أثرها وسلطانها على سلوك الفرد والجماعة .

وزيادة في الايضاح أشير في عجالة الى بعض وسائل الضبط الاجتماعي منها ضوابط اجتماعية تلقائية أذكر منها على سبيل المثال الطرق الشعبية Falkhwavs ويقصد بها الوسائل التى أقرها المجتمع ليصوغ أفرادها سلوكهم في تعاملهم وعلاقاتهم وفقا لها وتتميز هذه الطرق بانها تكون عشوائيا داخل نطاق الجماعة لأن اساسها المحاولة العشوائية لاشباع الحاجات الطبيعية الضرورية ، وقد عبر العلامة سمنر Sumner عن تلك الطرق بقوله انها تشبه

(١) د . مصطفى الخشاب : الضبط الاجتماعي - معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٣٥٧ .

نتائج القوى الطبيعية التي يستغلها الإنسان ويستخدمها في ممارسة أعماله دون قصد . وتميز أيضا بالاستمرار وإن لها صفة الدوام فهي تتحدد من جيل إلى جيل عبر التراث الاجتماعي والثقافي ودون تفسير ، وفوق ذلك فانها تستطيع أن تتوافق مع رغبات وميول الناس لأنها تنطوى على ما تواضع عليه الأفراد من تفاعل سلوكي في سبيل ترشيد الأمراد إلى السلوك السوي .
أيضا من وسائل الضبط الاجتماعي النلقائية ما يعرف بالآداب

الاجتماعية mores وهي عبارة عن طرق شعبية لها وثيق الصلة بتحقيق صالح الجماعة والحفاظ على مقومات المجتمع . وقد تكون هذه الآداب الشعبية أساسا طرقا شعبية ولكن نظرا لحدوث تحول في الظروف والملابسات الاجتماعية يحدث داخلها نوع من التغير بحيث تتحول إلى آداب اجتماعية ولها قوة ملزمة لأنها وثيقة الصلة بالقيم الأخلاقية . والآداب الاجتماعية القوة الحقائق الاجتماعية بسبب اصالتها وانحدارها من الأجيال الماضية إلى الأجيال اللاحقة مع ثباتها وعدم تغيرها وجمودها النسبي ويدخل في نطاق الآداب الاجتماعية النواحي السلبية والنواحي المقدسة التي يطلق عليها اسم « النابو » او المحرمات وهي مجموعة الأفعال التي يتحاشى الأفراد اتقانها لأنها تستند إلى جزء ديني أو خلقى رادع .

ومن وسائل الضبط الاجتماعي التقليدية : الأعراف وهي أداة تلقائية في الضبط الاجتماعي ، ولقد سبق القول أن السنن الاجتماعية ومنها العرف تمثل سلطة اجتماعية ضابطة في المجتمع القروي أو البدائي قد يفوق سلطان للقانون ويشير العرف إلى تلك الأفكار والمعتقدات التي يعتمد فيها الفرد ولذلك لا مناس من التخلي عنها بأي حال لأن لها وظيفة اجتماعية قاهرة وكثيرا ما نلاحظ صرامة هذه الوظيفة عبر التاريخ في المجتمعات والأمم والشعوب فقد كان النار على سبيل المثال من القواعد العرفية التي تطلبها المعتقدات الدينية عند عرب الجاهلية .

ومن الوسائل الاجتماعية الضابطة الرأي العام ويعنى التعارف والتفاهم المشترك بين المجموع في مجتمع من المجتمعات ، وتبدو فاعلية الرأي العام في المظاهر السياسية والاقتصادية مثلا ، فالرأي العام هو القوة المسيرة لكافة الحركات السياسية الاقتصادية ولذلك لا غرابة في أن تعنى المجتمعات

بأهمية الرأى العام ووظيفته الاجتماعية كأداة اجتماعية ضابطة خاصة اذا ما علمنا أنه يعنى مفهوم الموافقة الغالبة أو الرضى العام أو الرأى العام الذى ينشأ نشأة تلقائية كجزء من تكون المجتمع الثقافى والذى يطق عليه اصطلاح الرأى العام المستقر لأصالته فى البناء الاجتماعى . وتجدر الإشارة الى أن كل فرد يخشى الخروج عن معايير الجماعة وتقاليدها لأنها تستمد قوتها من قوة الرأى العام ، ليس على المستوى المحلى فحسب بل انما نفس اليوم تعاطم دور الرأى العام العالمى فى التأثير على مجريات الأحداث . أن الرأى العام هو مصدر التشريعات والقوانين الضابطة فى الجماعة الديمقراطية لأنه نابغ من ارادة الجماعة ويعبر عن العقل الجمعى . كما أنه يعنى على حماية المثل العليا والقيم ويستنهج بشدة كافة الأفعال غير السويه () .

والى جانب هذه الضوابط الاجتماعية التلقائية ، هناك وسائل للضبط الاجتماعى الرسمى ممثلة فى سلطة القانون أو فى أجهزة الرقابة الاداريه وغيرها وهى تستند بطبيعة الحال الى القاعدة القانونية كأساس لفرض سلطانها وانزال العقاب الرادع على الخارج على أحكامها وفى نفس الوقت اثابة انكافح على أفعاله الحميدة ، وقد سبق مناقشة وظيفة القانون كأداة ضابطة فى موضع سابق .

يمكن القول اذن أن الضبط الاجتماعى من المفاهيم الأساسية فى علم الاجتماع وهو عملية اجتماعية أساسية لها أبعادها ووظائفها الهامة وهى تعمل على تماسك البنيان الاجتماعى وتقضى من آن لآخر على كل عوامل الوهن والبياتولوجيا الاجتماعية ، ومن هنا كان الدافع لمناقشة هذا المفهوم بشكل مرجز فى العجالة السابقة .

(١) د . أحمد الخساب : الضبط والتنظيم الاجتماعى القاهرة الحديثة

(سابعاً) التدرج والحراك الاجتماعى

Social Stratification and Mobility

بشير مفهوم التدرج الاجتماعى الى وجود تباين بين سكان المجتمع فى الوضع الطبقي حيث نلاحظ وجود طبقات راقية واخرى فى مستوى متواضع وربما يرجع السبب وراء ذلك الى سوء توزيع الحقوق والامتيازات والواجبات والمسئوليات تحت تأثير القيم الاجتماعية السائدة او ضغوط القوى الاجتماعية المؤثرة ، وتصدر الاشارة الى أن الأشكال الجامدة للتدرج الاجتماعى سوف تبدو بالضرورة فى المجتمع بصرف النظر عن كونه مجتمعا رأسماليا أو اشتراكيا طالما كانت المكانة الاجتماعية للأفراد موزعة بصورة غير عادلة .

كذلك هناك عوامل جوهرية تخلق التدرج الاجتماعى فى المجتمع وتعمل جنبا الى جنب بحيث تحدث التدرج ، وهذه العوامل ننشأ نتيجة للتباين بين الأفراد وبيئاتهم بحيث تحدث أشكالا شتى للتدرج الاجتماعى . كذلك هناك أمور تؤدى الى التدرج أو قد تخفيه مثل كبر حجم الجماعة وعدم تجانس أفرادها ، أو اختلاف قدرات الأفراد ونوعياتهم (١) .

وينظر الفرد لى Lee الى موضوع التدرج من منظار مهني حيث يرى ان ظاهرة تقسيم العمل تساعد على تنظيم الأنشطة المجتمعة من خلال المهن التى تدفع الأفراد الى الالتقاء من خلال ثلاث طرق : تكنولوجيا بتأثير الاتجاه الترشيدى فى العمل ليخصص لكل فرد دورا فيه ، واقتصاديا حيث يتشبه الفرد بمهنة معينة لأنها تدر عليه عائدا مجزيا . واجتماعيا ، من خلال الاعرف داخل المجتمع . ان الدخل والمكانة يؤديان الى خلق وضع مهني يساعد على ظهور التدرج فى النظام الاجتماعى ، ومن ثم يخلق تباينا بين

Pitirim A Soro Kin : Social and Cultural mobility, (١)

The Free Press of glencoe, 1959 p. 343.

الأفراد والجماعات بحسب مكاناتهم وطرائق معيشتهم وأوضاعهم داخل المجتمع . وهذا التباين التكنولوجي الاجتماعي الاقتصادي يقسم الأفراد إلى جماعات معتمدة على بعضها داخليا في تدرج بنائي (١) .

وهناك علاقة وظيفية بين مفهوم التدرج والنظام الطبقي في المجتمع وقد سبق الإشارة إلى ذلك في مطلع هذه الفقرة ، وببعضنا أن نوضح طبيعة هذه العلاقة من خلال حديثنا عن المفهوم الطبقي .

وإذا حاولنا دراسة المفهوم الطبقي وخصائص المجتمع المحلى لقلنا ان النسق الطبقي في أي وقت من الأوقات يعكس بعمق التأثير الكلي الشامل لحياة المجتمع المحلى ، وتجدو علاقة المفهوم الطبقي بالمجتمع المحلى في صورة واضحة إذا ما عكسنا باختصار وظائف الطبقة في المجتمعات المختلفة ، ذلك أن النسق الطبقي هو انعكاس لقيم ، حيث نلاحظ في الولايات المتحدة وجود التمايز الطبقي بصورة مؤكدة مع الوضع في الاعتبار عملية الحراك الاجتماعي فضلا عن وجود درجة من الترابط بين الخط الطبقي والشعور بانقومية أو التمايز الجنسي والسلالي والتطور المستمر في الارتفاع بمستوى المكانة الاجتماعية بينما نجد في إنجلترا رغم توفر الظروف الديمقراطية السياسية نجد جذورا عميقة للفتاوت الطبقي مؤسسة على اتجاهات تاريخية عميقة وهذا يشير إلى تباين الأنساق الطبقيّة مع الوضع في الاعتبار التباين في الأبنية الاجتماعية ، هذا فضلا عن تأثير العادات والتقاليد كما يحدث مثلا في مجتمعات كبيرة الحجم مثل الهند والصين من خلال مظاهر الحياة الدينية والتربوية والمهنية حيث أن هذه المظاهر محكومة بنمط من الوضع الطبقي الجامد .

أما عن كيفية تأثير هذا النسق الطبقي على حياة المجتمع ، نلاحظ ان من خصائص الوضع الطبقي الانغلاق والجمود بتأثير المولد أو الثروة أو المهنة أو درجة التمايز الاجتماعي أو درجة ثقافة الجماعة وبصفة عامة بتأثير العملية الكلية للاختيار الاجتماعي وأبعد من ذلك تأثير درجة التمايز في القدرات والفرص التقدم ، وقد يضطر بعض الأفراد أن تقاح لهم فرص التمايز

Alfred Mclung Lee : op. cit. p. 214.

الشخص خاصة في الداخل وهذا يشير الى روح التنافس بين الافراد ، وفي بعض الاحيان فان الوظيفة الاجتماعية للطبقة العليا ترتبط بمكانتها التي ترتبط بالتالي بالمجتمع الذي وهبها لهؤلاء الافراد وقد يرجع أساس الوضع الطبقي ليس فقط الى الملكية أو القوة فقد يكون راجعا الى الثقافة . ولدينا شواهد تاريخية تدل على أن القوة والثقافة يسيران جنبا الى جنب في تثبيت أو تغيير الأوضاع الطبقيّة .

وقد يحدث تحولا في الانساق الطبقيّة ، اذ حين نتحدث عن مفهوم التغيير الاجتماعي فانه من الأهمية بمكان ان نشير الى العلاقة بين الأوضاع الطبقيّة ومدى تأثيرها على البناء الاجتماعي ، وزيادة في الايضاح فانه من منظور تاريخي نجد ان هناك علاقة بين الطبقة والتغيير الثوري فقد جاء التحول الطبقي مصاحبا لكافة الحركات الثورية ، ويرجع «باريتو» مبوط مكانة الصفوة في المجتمع الى حدوث خلل في تكرينها الكيفي ، بينما يرجع اتباع ماركس التغيير الطبقي الى عوامل مادية ومثالا لذلك مدى التحول في نظام الامتاع ، فقد كان تحولا في الأوضاع الطبقيّة في المجتمع ، كذلك فان ظهور المكانة الاجتماعية للرأسماليين بعد انهيار النظام الاقطاعي يعطى دليلا على ظهور طبقة جديدة في المجتمع ويعتبر ذلك تحولا طبقيّا ، ويرى ماركس واتباعه أن طبقة البروليتاريا ينبغي أن تقوض النظام الراسمالي في العالم الغربي .

أما عن عملية التحول الطبقي في أمريكا فقد تأثرت بطبيعة الحال بالثورة الصناعية رغم الاصلاح الاقتصادي بين طبقة الفلاحين والتجار وصغار الرأسماليين بدون صراع ، غير انه بعد اتساع المشروع الاقتصادي وتركز رؤوس الأموال وسيطرة الثروات أدى كل ذلك الى سيادة القوة واستيراد عمال من طبقات فقيرة (١) .

معنى ذلك أن هناك علاقة عضوية بين مفهوم التدرج والمفهوم الطبقي وان شئنا قلنا ان التدرج الطبقي في المجتمع انما هو محصلة تضافر مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية . . . الخ تعمل على تثبيت أو تحول هذا التدرج .

ويعنى مفهوم الحراك الاجتماعى Social Mobility التحول سواء فى مكانة الفرد أو التحول فى القيم أو التحول من وضع طبقى الى وضع طبقى آخر وبطبيعة الحال فان هذا التحول أو مانسمية بالحراك تكون له آثاره ونتائجه على وضع الفرد أو الجماعة أو الطبقة داخل المجتمع .

ويرى سوروكن فى كتابه « الحراك الاجتماعى والثقافى » ان هناك نمطين للحراك الاجتماعى احدهما انقى والآخر حراك رأسى ، فالحراك الامقى يعنى التحول سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة من موضع وآخر مسابه وعلى نفس المستوى كما يحدث حين يتحول الفرد من وضع كئسى معين الى وضع كئسى آخر ، أو انتقال عامل من مكانة اجتماعية الى مكانة أخرى فى نفس الطبقة كما أن هناك حراكا فى الموضوعات الاجتماعية كما يبدو من خلال وظيفة الراديو مثلا أو ظهور تقاليع اجتماعية أو انتشار مبدأ اقتصادى معين كالشروعية .

ويعنى الحراك الرأسى Vertiical تحولا من جانب الفرد أو الموضوع الاجتماعى من حالة اجتماعية الى أخرى ، وهناك نمطان للحراك الرأسى ، فهناك الحراك الصاعد والحراك الهابط ، وإذا رجعنا الى مفهوم التدرج لوحدها ان هناك أحداثا اقتصادية أو سياسية أو مهنية تنتج عن الحراك ايضا ، وتعنى الأحداث الصاعدة انتقال الفرد من وضع طبقى هابط الى وضع آخر راق (١) .

وتجدر الإشارة الى ان هناك متغيرات اجتماعية متعددة يحدث من خلالها الحراك وعلى سبيل المثال انتشار التعليم سببا فى حدوث حراك اجتماعى بين الأفراد بمعنى ان الفرد الذى كان فى وضع طبقى هابط اقتصاديا ويحدث أن يتحول الى وضع طبقى صاعد من خلال المستوى الاقتصادى ، يمكن بفضل التدرج فى مراحل التعليم المختلفة من أن يحدث حراكا اجتماعيا وينتقل من طبقة اجتماعية معينة الى طبقة اجتماعية فى مستوى تعليمى أرقى ، وبذلك كان التغيير التعليمى أحد العوامل المؤثرة فى تنشيط عملية الحراك .

وعكذا نلاحظ فى المجتمعات الريفية خاصة بعد القضاء على الاقطاع حدوث حراك اجتماعى عند الطبقة الفلاحية ، فنجد أن بعض الريفيين نظير

Sorokin : Social and Cultural Modility op. cit. p. 133. (١)

توزيع الأراضي الزراعية عليهم قد انتقلوا من طبقة اجتماعية الى طبقة أخرى بعد أن كانوا يمثل طبقة المعدمين ، أصبحوا بعد قانون الإصلاح الزراعي يدخلون في اطار طبقة ملاك الأرض ولو كانت نسبة الملكية متواضعة وإنما نلاحظ ظاهرة الحراك الاجتماعي الرأس في المجتمع الريفي بصورة أوضح المدينة نظرا لتقارب المستويات الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع المدينة .

وفي دراسة للتغير الاجتماعي في القرية المصرية لاحظ الباحث (١) . أن التنقل أو الحراك الاجتماعي في القرية في فترة ما قبل التغير كان له خاصيتان ، فالقرية كمجتمع « كانت » صغيرة Limited الأولى : أنه كان حراكا محدودا ولهذا كان التنقل محدودا من حيث السرعة والذى . والثانية أن الحراك كان أفنيا Horizontal لان الزواج اذا لم يغير من الوضع الراسي الفرد الذي ينتقل من عائلة لأخرى فانه يكون تنقلا أو حراكا أفنيا كما يشير ذلك الى سوركن .

أما بعد حدوث التغير الاجتماعي في القرية فلقد أصبح للحراك الاجتماعي عدة خصائص فقد أصبح غير محدود Unlimited لان الحواجز القديمة لم تعد تمنع امتداد العلاقات في أى اتجاه ومن هنا زادت سرعته . كما أصبح الحراك أفنيا لا يقتصر فقط على الزواج بل يمتد الى عدد من العلاقات المختلفة لجميع الأفراد من الجنسين في مختلف فئات السن . كما أن هناك حراكا رأسيا حيث انتقال الأسر من وضع اقتصادى واجتماعى من طبقة الى أخرى نتيجة الملكيات . وكان من سمة الحراك أو التنقل الاجتماعي بعد التغير القروى توسطى Intermediary بمعنى أنه أصبح غير واضح بسبب انتقال الأفراد من مركز الى آخر غير محدد .

وبطبيعة الحال فان الحراك بمظهرية الرأسى والأفقى يتأثر بالنمو السكانى ، مهما كانت أسباب حدوث الزيادة السكانية سواء كانت أسباب

(١) د . عاطف غيث : القرية المتغيرة دار المعارف بمصر ط ٢ - ١٩٦٤

تطبيقية تتعلق بالقيم السائدة أو أسبابا تتعلق بالاتجاهات الديمقراطية والظروف الاجتماعية (١) بمعنى أن هذه الزيادة السكانية تلعب دورا خطيرا في ظهور مشكلات اجتماعية لها اثرها على الوضع الطبقي لاي فئة اجتماعية وأبسط مثل على ذلك ان زيادة عدد أفراد أسرة ما يؤدي الى توزيع ملكياتها بالتالى مما يؤدي الى انتقالها من وضع طبقي معين الى وضع طبقي آخر .

John Lewis Gillin and Others : Social Problems 4th (١)
Edition New York Appleton — Century Crofs 1952 p. 146.

المراجع العربية

- ١ - د . أحمد الخشاب : العلاقات الاجتماعية ط ١ الانجلو المصرية ١٩٥٧ .
- ٢ - د . أحمد الخشاب : دراسات في النظم الاجتماعية ط ١ القاهرة الحديثة ١٩٥٧ .
- ٣ - د . أحمد الخشاب : الضبط والتنظيم الاجتماعى القاهرة الحديثة .
- ٤ - د . السيد الحسينى وآخرون : علم الاجتماع الريفى وانحصرى دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٥ .
- ٥ - بوتوهور : تمهيد في علم ترجمة د . محمد الجومرى وآخرون . دار الكتب الجامعية الطبعة الثانية ١٩٧٣ .
- ٦ - د . حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلونى دار المعارف ط ٣ ١٩٨٥ .
- ٧ - دوركايم : قواعد المنهج في علم الاجتماع ترجمة د . محمود فاسم . النهضة المصرية ١٩٦١ .
- ٨ - د . زيدان عبد الباقي : قواعد البحث الاجتماعى ط ١ دار المعارف ١٩٧٤ .
- ٩ - د . عبد الحميد لطفى : علم الاجتماع ط ٥ دار المعارف ١٩٧٣ .
- ١٠ - د . عبد العزيز عزت : علم الاجتماع الصناعى . الانجلو المصرية ١٩٦١ .
- ١١ - د . عبد العزيز عزت : الاجتماع الأخلاقى . الانجلو المصرية ١٩٥٦ .

- ١٢- د . على فؤاد أحمد : الاجتماع الريفي . القاهرة الحديثة ١٩٥٩ .
- ١٣- د . عاطف غيث : التغيير الاجتماعي والتخطيط . دار المعارف ١٩٦٦ .
- ١٤- د . مصطفى الخشاب : تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره .
الأنجلو المصرية ١٩٧٥ .
- ١٥- د . مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع . الأنجلو المصرية ١٩٧٥ .
- ١٦- د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع الحضري . الأنجلو المصرية
١٩٧٦ .
- ١٧- د . مصطفى الخشاب : دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي .
مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٧ .
- ١٨- د . مصطفى الخشاب : المدارس الاجتماعية المعاصرة .
دار المعارف ١٩٧٥ .
- ١٩- د . مصطفى الخشاب : النظريات والمذاهب السياسية . مطبعة لجنة
البيان ١٩٥٨ .
- ٢٠- د . مصطفى الخشاب : مفهوم الضبط الاجتماعي - معجم العلوم
الاجتماعية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .
- ٢١- د . محمد الجوهري وآخرون : دراسة علم الاجتماع ط ٢ .
دار المعارف سنة ١٩٧٥ .
- ٢٢- د . محمد طلعت عيسى : مناهج التدريب العملي . القاهرة الحديثة
١٩٥٧ .

٢٣- د . محمد عارف : المنهج في علم الاجتماع ط ٢ الأنجلو المصرية ١٩٧٥ .

٢٤- د . محمد على محمد : مناهج البحث وأدواته (دراسة علم الاجتماع)
ط ٢ دار المعارف ١٩٧٥ .

٢٥- مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي .

obeikandi.com

المراجع الأفرنجية

- 1 — Alvin Bertrand : Basic Sociology, an Introduction to Theory and method, Appleton Century-Crofts, New York, 1967.
- 2 — Alfred McClung Lee : Principles of Sociology, Barnes & Nable Inc., New 3 Edition, 1969.
- 3 — A.T. Wel Ford & others : Society, Problems and methods of study, Routledge, Kegan Paul, London, 1962.
- 4 — Bell, Sirjamaki : Social Foundations of human Behavior & Edition, 1961.
- 5 — Cecil S. Enden : The people and the constitution, Second Edition Oxford Univ. Press, 1956.
- 6 — Dennis H. Wrong & Harry L. gracey : Readings in introductory, The Macmillan Comp. London 1969.
- 7 — Don Martindale : Social life and Cultural change D. Van Nostrand comp. Inc. New York, 1962.
- 8 — Don Martindale : Institutions Organizations and Mass Society Houghton Mifflin comp. Boston U.S.A. 1966.
- 9 — Everett K. Willson, Sociology, The Dorsey Press Home wood Illionois Second Printing.
- 10 — Emory S. Bogardus : Sociology, New York, The Macmillan comp. 4th Edition 1954.

- 11 — Edward A. Tiryakian : Sociological Theory values, of sociocultural change the free press of glencoe, London, 1963.
- 12 — Ferdinand Tonnies : Community & Society Trans by Charles P. Loomis, The Michigan state Univ. Press U.S.A. 1964.
- 13 — Francis R. Allen : socio-Cultural Dynamics, The Macmillan comp. New York, 1971.
- 14 — Francis R. Allen : Technology and social change.
- 15 — George A. Lundberg : Foundations of sociology, New York, The macmillan comp. 1939.
- 16 — George A. Lundberg & others : Sociology Harper, New York, 1958.
- 17 — George H. Sabine : A History of Political theory 3 Edition, Oxford & I.B.H. Publishing comp. New Delhi, 1961.
- 18 — George Peter Murdock : Culture and Society U.S.A. 1965.
- 19 — John Lewis gillin & others : Cultures of sociology third Edition, The Macmillan comp. New York, 1930.
- 20 — James F. Downs : Cultures in crises, glencoe press collier-macmillan Ltd, London 1971.
- 21 — John Paul scott and sarah F. scott : social control and social change Univ. of Chicago Press U.S.A. 1971.
- 22 — John Lewis gillin & others : Social Problems 4th Edition NewYork Appleton-Century Crofts Inc. 1952.

- 23 — John F. Cuber : Sociology, Appletoncentury crofts, Inc.
New York, 1947.
- 24 — John Lewis gillin : Cultural sociology, the macmillan comp.
New York(1948.
- 25 — Kingsley Davis : Human society, the macmillan comp.
New York,
- 26 — Lewis A. Coser and Bernard Rosenberg : Sociological
theory second Edition, Collier Macmillan, New York,
1967.
- 27 — Max Horthheimer : Aspects of sociology by the frankfort
Institute for social Research, trans by john viiertel. Hein-
man, 1973.
- 28 — Morris ginsberg : Sociology, 1961.
- 29 — Marvin E. olsen : The Process of Social Organization,
Holt, New York, 1968.
- 30 — Mervill : Society and Culture, Prentice Hall, Inc. 4th
Edition, 1953.
- 31 — Max Weber : Basic concepts in sociology trans by H. P.
secher, the citadel press, New York, 1963.
- 32 — Milville J. Herskovits : Cultural anthropology, Oxford &
9 BH Publishing comp. New Delhi 1958.
- 33 — Max Weber : The Theory of social and Economic Organi-
zation, Trans by Parsons, the free of glencoe collier-Mac-
millan U.S.A. 1964.

- 34 — Nicholas S. Timasheff ; sociological Theory, Its Nature and growth, Random house, New York second Printing 1957.
- 35 — Noel gist and sylvia Fleis favor : Urban society fifth Edition, Crowell New York, 1965.
- 36 — Norman W. Bell and Ezva F. vogel : A modern Introduction to the family, the free Press of glencoe.
- 37 — P.T. Bauer : Economic Analysis and policy in under developed countries, London, Routledge kegan paul LTD second Edition 1966.
- 38 — Pitirim A. sorokin : ocial and cultural Mobility, the free press of glencoe 1959.
- 39 — Paul E. Mott : The organization of society, prentice Hall Inc. Engle wood Cliffs, New Jersey, 1965.
- 40 — Pauline V. Young : Scientific social surveys and Research 4th Edition new Delhi, 1973.
- 41 — Pitirim Sorokin : Social & cultural Dynamics, London, 1957.
- 42 — Robert E. L. faris : Social Disorganization, the Ronald Press comp second Edition, New York, 1955.
- 43 — Richard T. lapiere : social Change Mcgraw-Hillbook comp. New York, 11965.
- 44 — R.M. Mac Iver and charles H. page : society An Introduction Analysis Macmillan compK Ltd. London 1953.

- 45 — Robert . Merton : social Theory and social structure, the Free Press New York, 1968.
- 46 — Robert A Dahl : Modern Political Analysis second Edition Prentice Hall of India Private Limited New Delhi, 1972.
- 47 — Robert Endleman : Personality and social life Random house, New York, 1967.
- 48 — .F. Nadel : The Theory of social structure. The free Press of glencoe, Illinois, First published 1957.
- 49 — Theodore D. Kemper : Te Division of Labor, In American sociological Review, V. 311 No. 6 December 1972.
- 50 — The Encyclopedia of the social sciences.
- 51 — Talcott parsons & others : Theories of society V. II free Press of glencoe U..A. 1961.
- 52 — Talcott Parsons : The social system Indian Editan New-delhi 1972.
- 53 — William fielding ogburn ogburn : Sociial change the viking press. Inc. New York, 1922.
- 54 — Williiam F. Ogburn and Meyer F. Nimkoff : A Handbook of sociiology, New Delhi, 1964.
- 55 -- Charles Ploomis & Zona K. Loomis : Modern social Theo-ries D. Van Nostrand comp. Inc. New York 1961.
- 56 — Jessie Bernard : sociology sixth Edition the Cv. Mosby comp. 1962 U.S.A.